الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي–الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاسلامية والحضارة

قسم العلوم الإسلامية

Ministère de l'Enseignement Supérieur

Et de la Recherche Scientifique

Université Amar Télidji– Laghouat

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

Département des Sciences Islamiques

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

محاضرات في الأصول المنهجية للفرق الإسلامية

موجهة لطلبة السنة الثانية أصول الدين قسم العلوم الإسلامية_ السداسي الرابع _

من إعداد الدكتور: خيرالدين شرقي

السنة الجامعية:1442_1443 هـ. 2021م _ 2022م

-الأصول المنهجية للفرق الإسلامية

عنوان الوحدة: وحدة التعليم المنهجية

المادة: الأصول المنهجية للفرق الإسلامية. السداسي الرابع.

أهداف التعليم:

تحضر الطالب للتوجه نحو تخصص العقيدة ومقارنة الأديان.

أن يتعرف الطالب على أصول الفرق الإسلامية التي ظهرت في التاريخ من حيث معرفة كل فرقة من حيث نشأتها وأهم آرائها الفكرية والعقدية وأشهر أعلامها ومنهج كل فرقة في البحث العقدي وخصوصيته وعناصر قوته وجوانب ضعفه وقصوره.

المعارف المسبقة المطلوبة:

تحصيل الطالب لأساسيات في علم العقيدة الإسلامية من خلال دراسته للسنة الأولى جامعي ومرحلة الثانوي. وكذا ما حصله الطالب من معارف تتعلق بالتاريخ في المرحلة الثانوية والجامعية.

محتوى المادة:

مدخل عام حول أسباب اختلاف الناس عموما والمسلمين خصوصا.

علم الفرق الإسلامية حقيقته وصلته بالعلوم الأخرى.

غاية هذا العلم وفوائده.

منهج ومصادر دراسة الفرق الإسلامية.

العوامل المساهمة في نشأة الفرق الإسلامية.

الأصول المنهجية للخوارج.

الأصول المنهجية للشيعة.

الأصول المنهجية للمعتزلة.

الأصول المنهجية للأشاعرة.

الأصول المنهجية للماتريدية

الأصول المنهجية للإباضية.

الأصول المنهجية للفرق الإسلامية المعاصرة البهائية والقاديانية .

طريقة التقييم: امتحان

المراجع:

مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري.

الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم الأندلسي.

الملل والنحل للشهرستاني.

الفرق بين الفرق للبغدادي.

منهاج السنة النبوية ابن تيمية.

مذاهب الإسلاميين محمد بدوي.

ضحى الإسلام أحمد آمين.

تاريخ المذاهب الإسلامية محمد أبو زهرة.

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام علي سامي النشار.

العقيدة الإسلامية أصولها وتأويلاتها محمد عبد الستار بيسار.

الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية يحي هاشم فرغل.

مباحث في منهجية الفكر الإسلامي عبد المجيد النجار.

المحاضرة الأولى: مدخل عام حول المقياس

مدخل الي علم الفرق:

تعريف الفرق:

الفرق في اللغة: جمع فرقة وتطلق الفرقة في اللغة على الطائفة المجتمعة من الناس. وتفرق، وتفراقا: ضد تجمع[1]

الفرق في الاصطلاح: جماعة تربطهم معتقدات معينة، وكثير ما تعزلهم عن غيرهم، فيكونون مجتمعا مغلقا، وقد يفتحون الباب لمن عداهم، كالفرق الإسلامية[2]، والمقصود بالفرقة هنا ما تعلق بأصول الدين، أي في الجانب العقائدي، وليس الفقهي مثل :الخوارج ، والشيعة ،والمعتزلة وغيره من الفرق، حيث كانت لهم معتقدات وأراء تميزوا بها عن غيرهم ،وإن شاركهم غيرهم في بعض منها .

الغاية من دراسة الفرق:

دراستنا للفرق ليس إقراراً أو فرحاً بها، أو شماتة على الآخرين، وإنما ندرسها مع أسفنا الشديد للتفرق الحاصل بين المسلمين، والذي نرجو من وراء هذه الدراسة أن تحقق أهدافاً طيبة في خدمة الإسلام، وفي كسر حدة الخلافات التي مزقت المسلمين وفرقتهم إلى فرق وأحزاب. والتي تهدف كذلك إلى جمع كلمتهم، ولفت أنظارهم إلى مواقع الخلاف فيما بينهم؛ ليبتعدوا عما وقع فيه من سبق من هذه الأمة، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، فهي نوع من أنواع العلاج لتلك المآسي الحالَّة بالمسلمين، وسبب من الأسباب التي تبذل لينفع الله بها إن شاء؛ لأن معرفة الدواء النافع يتوقف على معرفة الداء. وتلك الأهداف التي نتطلع إلى تحقيقها كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي:[3]

[1] إبراهيم مصطفي ،المعجم الوسيط، ط2 ،1989 ، دار الدعوة ، تركيا ،ص 316
[2] مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، القاهرة ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، 1403ه 1983م ،ص135
[3] غالب بن علي عواجي،«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» ج1/: الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدةالطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م،ص36

تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافهم من العزة والكرامة والمنعة حينما كانوا يداً واحدة، وقلباً واحداً.

لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه، ومدى ما لحقهم من الخسارة بسبب تفرقهم.

توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم، وذلك بالتركيز على ذم التفرق وبيان مساوئه، وبيان محاسن اتحاد المسلمين، وجمعهم على طريق واحد.

تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم فيما سبق من الزمان ليجتنبوها بعد أن يدارسوها فيما بينهم بعزم قوي وصدق نية.

معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام بعيدة عن طريقه الواضحة.

رصْد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الخط السوي والصراط المستقيم؛ لتعرية دورهم الخطر في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتعريف الناس بأمرهم، وجلاء حقيقتهم للتحذير منهم، وبيان ما يقومون به من خدمة تلك الأفكار وترويجها.

ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام؛ فلكل قوم وارث.

وصل حاضر هذه الأمة بماضيها، وبيان منشأ جذور الخلافات بينهم والتي أدت إلى تفرقهم فيما مضى من الزمان للتحذير منها، وللرد على أولئك الذين يحاولون دعوة المسلمين إلى قطع صلتهم بماضيهم، والبناء من جديد كما يزعمون.

ثم إن دراستنا للفرق وإن كان يبدو عليها أنها بمثابة جمع لتراث الماضين، فإنه يراد من وراء ذلك دعوة علماء المسلمين إلى القيام بدارسته وفحصه واستخراج الحق من ذلك، واستبعاد كل ما من شأنه أن يخرج بالمسلمين عن عقيدتهم الصحيحة أو يفرق كلمتهم.

وهذا هو أنجح الطرق وأقربها إلى إشعار المخالفين بالإنصاف وطلب الحق للاستدلال على خلافهم وخروجهم عن الصواب من كتبهم ومن كلام علمائهم لقطع كل حجة مخالفة بعد ذلك.

3.أهمية دراسة الفرق:

لماذا نشغل أنفسنا بدراسة فرق انتهت، وربما لم يعد لها ذكر على الألسنة. وقد رد العلماء عليها قديماً وحديثاً وانتهى الأمر؟ والجواب: إن هذا التساؤل قد انطوى على مغالطات خفية ونية سيئة، أو جهل شنيع، وذلك:

أولاً: إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمنهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر.

فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتداداً يسري في الأمة سريان الوباء.

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدق بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية»[4]

ثانياً: مما هو معلوم أن كل الأفكار والآراء التي سبقت لها أتباع ينادون بتطبيقها، فالنزعة الخارجية وتنطع أهلها في الدين، واستحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفيرهم الشخص بأدنى ذنب، قائمة الآن في كثير من المجتمعات الإسلامية على أشدها، موهمين الشباب ومن قلت معرفته بالدين أن الدين هو هذا المسلك فقط.

ثالثاً: إن دراسة الفرق والدعوة إلى الاجتماع واتحاد كلمة المسلمين –فيه تكثير لعدد الفرقة الناجية بانضمام أولئك الخارجين عن الحق ووقوفهم إلى جانب إخوانهم أهل الفرقة الناجية؛ فيكثر عددهم فيصح فيهم ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام فرقة من المسلمين: ((ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك)) وتَرْكُنا لدراسة الفرق يفوِّت علينا هذا الخير العظيم.

[4] غالب بن علي عواجي،«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» (1/ 36): الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدةالطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م،ص36

رابعاً: أضف إلى ذلك أن ترك الناس دون دعوة إلى التمسك بالدين الصحيح، ودون بيان أضرار الفرق المخالفة، فيه إبطال لما فرضه الشرع من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الفرق التي ظهرت، ما من فرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على كثير من المنكرات، وهي تدعي أنها هي المحقة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم، والدعوة لها.

خامساً: إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، ففيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد[5]

[5] محمد العبدة، وطارق عبد الحكيم ،مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، ص 27- 28 وكذا ص 36 – 38.وينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» ج1ص 39

المحاضرة الثانية: أسباب الاختلاف

مادة "خلف" من أغنى مواد المعجم العربي من حيث الاشتقاق والدلالة وهي مادة يجتمع لها الإيجابي والسلبي من الدلالات مثل: الفساد والحمق والإعراض والتضاد والإمارة والإثمار والاستسقاء. و على الرغم من تعدد الصيغ و الدلالات إلا أن بعض المعاجم أغفلت صيغة اختلف، والبعض الآخر أورده في سياق شرح الخِلْفَة " القوم خلفة، أي مختلفون، والخلفة اختلاف الليل والنهار"؛ أما ابن منظور فإنه يقدم للصيغة "اختلف" أكثر من معنى، فهي عدم الاتفاق أو عدم التطابق وقد جاءت من" اختلقته أي جعلته خلفي."[6]

لعل ما يمكننا أن نستنتجه من استقصاء دلالة الاختلاف في السياق المعجمي هو أن الاختلاف ليس سببا أو نتيجة للصراع والتنازع ، وأن عدم التطابق إنما يعني التنوع والتميز الذي هو أساس الهوية الفردية والتنوع والتعددية، فالله لم يخلق الناس متساويين – بمعنى متطابقين – فأولئك الذين يتحاشون إظهار اختلافهم في الحوار مع الآخر و مثلهم الذين يتخذون من اختلافهم ذريعة لشن الحرب على الآخر لا يفقهون الحكمة الإلهية التي جعلت من الاختلاف سنة من سنن الله المطردة في مخلوقاته، فالذي يدقق النظر في الكون ـ الذي نعيش في جزء صغير منه ـ يجد أن الله ـ تعالى ـ قد خلقه مختلف الأنواع والصور. لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿27﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

[6] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999، ج 10، ص 188-193. الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1992، ص 173. الجوهري، إسماعيل بن محمد: معجم الصحاح، دار المعرفة، بيروت، 2007، ص 313

وَالدَّوَآبِّ وَالۡاَنۡعَـٰمِ مُخۡتَلِفٌ اَلۡوَانُهٗ كَذٰلِكَ ؕ اِنَّمَا يَخۡشَى اللّٰهَ مِنۡ عِبَادِهِ الۡعُلَمٰٓؤُا ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيۡزٌ غَفُوۡرٌ ﴾[7]

فهاتان الآيتان تؤكدان بما لا يدع مجالا للشك، أن الاختلاف سنة مطردة من سنن الله في خلقه وملكوته، حتى إنه ليعز أن تجد في خلق الله شبيهين يتطابقان في كل وصف وكل هيئة وكل حال.

بل الشيء الواحد والنوع الواحد .كتكوين خلقي متميز . جعله الله سبحانه . متباينا أو مزدوجا وجعل ذلك آية من آياته للتفكر والتدبر، قال تعالى:﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُوۡنَ ﴾[8]

ولكن هذا الاختلاف الذي نبه عليه القرآن ليس اختلاف تضارب وتناقض، بل هو اختلاف تنوع، ولهذا تكررت في القرآن كلمة "مختلف ألوانه" في أكثر من سورة و أكثر من مناسبة.

بل نجد القرآن الكريم ينفي بعبارة صريحة ما ينبئ عن التضارب أو التعارض في الكون وذلك في قوله . تعالى:﴿ مَّا تَرٰى فِىۡ خَلۡقِ الرَّحۡمٰنِ مِن تَفٰوُتٍ ؕ فَارۡجِعِ الۡبَصَرَ هَلۡ تَرٰى مِن فُطُوۡرٍ ﴾[9]

ومما يؤكد أن هذا الاختلاف . في الإنسان والكون والحياة . اختلاف تنوع لا اختلاف تضارب وتضاد ما يلي:

أولا: قول الله تعالى: ﴿ وَمِنۡ اٰيٰتِهٖ خَلۡقُ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ وَاخۡتِلَافُ اَلۡسِنَتِكُمۡ وَاَلۡوَانِكُمۡ ؕ اِنَّ فِىۡ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّلۡعٰلِمِيۡنَ ﴾[10]. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى (من آياته) الدالة على قدرته العظيمة ﴿ خَلۡقُ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ ﴾[11]أي خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها وسقوف أجرامها وكواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال، وأودية وبحار وقفار، وحيوان وأشجار.

[7] سورة فاطر، الأيات26 ،27
[8] سورة الذاريات، الآية 49
[9] سورة الملك، الآية3
[10] سورة الروم، الآية 22
[11] سورة الروم، الآية 22

وقوله تعالى:﴿ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ ﴾يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء روم إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم إلى غير ذلک مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم، فجميع أهل الدنيا منذ خلق الله أدم إلى قيام الساعة كلُ له عينان، وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان، وليس يشبه واحد منهم الآخر بل الأبدان مفارقة بشيء من السمت، أو الهيئة ظاهرا كان أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته، وهيئة لا تشبه الأخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال، أو قبح، لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

فالاختلاف أمر فطري فطر الله الخلق عليه، ودليل من أدلة قدره الله البالغة، وآية من آياته الباهرة وإن إعمار الكون وازدهار الوجود، وقيام الحياة، لا يتحقق أي منها لو أن البشر خلقوا سواسية في كل شيء، وكل ميسر لما خلق له.[12]

قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۖ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾ ([13])

فالاختلاف " حق طبيعي عام بمعنى أنه موجود في كل فرد باعتباره إنسانا إنه جانب من إنسانية الإنسان، ومن هنا يكون إهداره إهدار لإنسانية الإنسان، وهو حق طبيعي أبدي، بمعنى أنه قائم ما بقي الإنسان على ظهر الأرض . أي أنه سوف يظل قائما وباقيا إلى يوم الدين، يوم يحكم الله سبحانه وتعالى بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون.

وليس يخفى أن التعددية هي التعبير الصادق عن الاختلاف في الأفكار، وفي الآراء والمعتقدات، إنها الأخرى عامة وأبدية. والقرآن الكريم هو الذي يؤكد لنا هذه الحقائق حين يقول:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴾

[12] محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام وسنة الاختلاف، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1995، ص 29
[13] سورة هود،الأيات 118 ،119

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [14]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[15]

﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [16]وهكذا نرى أن حق الاختلاف في المفهوم الإسلامي هو حق طبيعي، وهو حق عام لكل الناس، وهو حق أبدي وقائم إلى يوم القيامة، يوم يفصل الله سبحانه وتعالى بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون. "[17]

و لا ينهى الله – جل وعلا – عن الاختلاف يقول محمد سعيد البوطي " و لقد بحثت في كتاب الله – عز و جل – عن آية تنهى عن الاختلاف –بمعناه المحدود كما تلاحظون – فما رأيت، و لكنه ينهى عن التفرق و النزاع أي ينهى عن النتائج السلبية للاختلاف فهو يقول مثلا:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[18] و كان بالوسع أن يقول: "و لا تختلفوا" وهو يقول:﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[19]،

و عندما نهى عن الاختلاف ، نهى عن اختلاف محدد كاختلاف بعض الأمم البائدة ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[20]

أي لا تكن اختلافاتكم اختلافات تؤدي بكم إلى صراع وهرج ومرج، ولقد سمعنا جميعا وقرأنا قول الله: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [21]

[14] سورة المائدة، الآية 48
[15] سورة السجدة ،الآية 25
[16] سورة الحج ،الآية 69
[17] محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام وسنة الاختلاف، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1995، ص 29
[18] سورة آل عمران ،الآية3
[19] سورة الأنفال ،الآية 46
[20] سورة أل عمران ،الآية 105
[21] محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص 29

تتجلى حكمة المولى – عز وجل – من سنة الاختلاف في الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[22]، تخاطب الآية الناس جميعا، و قد جاءت " بعد النهي عن الغيبة و احتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم في البشرية"[23]

فالاختلاف ليس معيارا للتفاضل بين الناس، فالناس متساوون كأسنان المشط فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [24]

فالاختلاف يعني التميز، و أن حكمة هذا الاختلاف هي المعرفة ، يقول تعالى " لتعارفوا" و قد قرأها ابن عباس و أبان عن عاصم " لتعرفوا".

الاختلاف بهذا المعنى هو أساس المعرفة والحوار آلية من آليات تحصيلها وهكذا يتضح لنا أن إقصاء الاختلاف من أجل الحوار مع الآخر لا يقل ضلالا عن إقصاء الآخر بسبب الاختلاف.

لا شر في الاختلاف بل الشر في رفضه وعدم قبوله، فعدم التسامح هو رفض الاختلاف، وهو البحث بأيد مخضبة بالدماء عن التماثل، ورفض أي شكل من أشكال الاستقلال والتنوع. إنه يرفض تبادل الآراء لأن التبادل يبدد الكراهية، ويستبعد التعايش لأن التعايش يعني قبول الاختلاف

إن الاختلاف المحمود، وهو سنة الله في خلقه وهو ما يجعلنا نعتقد بأن الحقيقة لا تنحصر في وجهة نظر واحدة، وإنما لها زوايا متعددة ومختلفة، والنظر إلى مختلف وجهات النظر على أنها اجتهادات إنسانية تقارب الحقيقة .حينذاك يظهر الوجه الايجابي للاختلاف وانه وسيلة للتعايش والسلام أين يحيا الإنسان حرا كريما

الخلاف بين المسلمين:

[22] سورة هود ،الآية 119
[23] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 218.
[24] سورة الحجرات، الآية 13

مر المسلمون بخلافات عديدة، والمتتبع لكل تلك الخلافات يجد أنها:

إما أن تكون خلافات عملية جردت فيها السيوف والمدافع والبنادق، ولا شك أنها نتيجة لخلافات عقدية في أكثرها، وإن كانت تبدوا أنها سياسية، وبعضها خلافات سياسية خصوصاً في القرون الأولى. وهذه الخلافات يهتم بها كتّاب التاريخ، يسجلونها ويوضحون أسبابها، ويذكرون نتائجها، وهي كثيرة على مدى التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً. قديماً ما وقع بين علي رضي الله عنه والخوارج، وما وقع بين الخوارج والدولة الأموية، وما وقع بين الدولة الأموية وابن الزبير. وحديثاً ما نراه واضحا في لبنان وغيره من فتك الشيعة–الذين يتظاهرون بالإسلام–بأهل السنة وتنكيلهم بهم إلى حد الاستهتار بدمائهم، أو بين أهل السنة وبين مم يتظاهر بالإسلام على ديانة القاديانية أو البهائية أو غيرهم، ممن يتظاهر بالإسلام ويصوب السلاح إلى صدور المسلمين.

وإما أن تكون خلافات علمية، وهذه خاض غمارها العلماء، كل فريق يؤيد ما يذهب إليه، وينقض ما ذهب إليه المخالف دون أن يصغي لأدلة من يخالفه بعين الإنصاف –في أكثر الأحوال–، حتى إن كل فريق من المختلفين يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب»

«وهذه الخلافات وإن لم تكن عملية، إلا أنها في كثير من القضايا أسهمت في إذكاء نار العداوة والبغضاء بين المسلمين، وساعدت في نفره المسلمين بعضهم عن بعض، خصوصاً بعد أن تولاها قوم معجبون بآرائهم، جهال بمعرفة النصوص وما تهدف إليه؛ فتعصبوا لمشايخهم وأفكارهم، ثم انطووا على ذلك. ([25])

ودارس الفرق يهمه الإلمام بالأمرين جميعاً؛ حتى يتسنى له الحكم على الأمور بوضوح، فإن معرفة الحوادث التاريخية، ومعرفة الأفكار والمعتقدات ثم عرضها على كتاب الله وسنة نبيه، ثم الاسترشاد بما فهمه السلف من تلك النصوص هو بالإضافة إلى أنه من الإحسان إلى النفس وإلى الآخرين، طريق الإنصاف، ومعرفة الداء ودوائه.

[25] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، دار الفكر العربي، ص 16» وينظر كذلك: «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» (1/ 55):

المحاضرة الثالثة: منهج ومصادر دراسة الفرق الإسلامية

تمهيد: يقوم منهج المتكلمين على دعامتين أساسيتين هما العقل والنقل، فلقد ذهبوا إلى عدم تعارضهما، وأدخلوا عنصر العقل في المعرفة الدينية وبذا لا تقتصر على النقل وحده، ودافعوا عن النظر كأحد مصادر المعرفة وأهمها، ضد المنكرين له من السمنية المقتصرين على الحس، والسوفسطائية المشككين في المعرفة العقلية،والحشوية المنكرين لاستخدام العقل في الدين والواقفين عند ظواهر النصوص.

إعمال العقل النظر:

قرر المتكلمون بوجوب النظر، وإن اختلفوا في مصدر وجوبه هل الشرع أم العقل، يقول الجوينى : « النظر الموصل إلى المعارف واجب ومدرك وجوبه بالشرع ، وجملة أحكام التكليف متلقاة من الأدلة السمعية والقضايا الشرعية » ، والمعتزلة تقول : « إن العقل يتوصل إلى درك الواجبات ومن جملتها النظر فيعلم وجوبه عندهم عقلا » (1)

وجوب معرفة الله تعالى واستبان بالعقل أنه لا يتأتى الوصول إلى اكتساب المعارف إلا بالنظر، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب.

ولقد لاحظ الرازي أن الخلاف حول أول الواجبات – المعرفة أو النظر – خلاف لفظي وأيضا ذكر ذلك الايجي، لأنه لو أريد أول الواجبات المقصودة أولا وبالذات فهو المعرفة ، وهذا ما اتفق عليه ، وإن لم يرد ذلك بل أريد أول الواجبات مطلقا فالقصد إلى النظر لأنه مقدمة للنظر الواجب مطلقا ،

فيكون واجبا أيضا ، ولما كان النظر واجبا وأنه لا تعارض بينه وبين النقل فإننا نجد المتكلمين قده أقاموا أدلتهم على أساس العقل والنقل ، وأصبح إقامة الدليل ركنا أساسيا من منهجهم [26]

مصادر دراسة الفرق: يمكن تقسيم مصادر علم الكلام بنحو كلي إلى قسمين: «العقل والنقل»

الأدلة النقلية:

وهو الدليل الذي يكون من جهة النبي علم أو من جهة غيره، وهو في عرف المتكلمين الكتاب والسنة والإجماع والكتاب هو القرآن المنزل على النبي صل الله عليه وسلم والمنقول إلينا تواترا ، والسنة لغة هي الطريقة والعادة ، وفي الشرع العبادات النافلة وما صدر عن الرسول من قول وفعل وتقرير، والإجماع هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صل الله عليه وسلم. فما هو موقف المتكلمين من الدليل النقلي ومصادره يأخذ المتكلمون بالدليل النقلى ويجعلونه حجة على ما ذهبوا إليه من آراء، لكنهم يختلفون في كيفية الأخذ به، ويرجع هذا الخلاف إلى مدى توغل الجانب العقلي والتمسك به عند كل فرقة ، ولقد رأينا أثر ذلك في موقفهم من التأويل ، والذي ينصب على فهم كل فرقة للمحكم والمتشابه[27]

الأدلة العقلية:

وهي الأدلة التي لا تستند على السمع أصلا وهي متمثلة في صور الأقيسة العقلية التي تقوم على مقدمات تلزم عنها ولذاتها نتائج معينة، وطبيعة القياس الذي استخدمه المتكلمون، هو القياس الجدلى، وهو الذي تكون مقدماته من المسلمات والمشهورات، والمسلمات عبارة عما

[26] عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة، ط2، 1995، مكتبة وهبة، القاهرة، ص18
[27] عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة، ص36

أخذ من القضايا على أنه مبرهن في نفسه، والمشهورات فهي القضايا التي أوجب التصديق اتفاق الكافة عليها كحسن الشكر وقبح الكفر ، وهو في مقابل القياس البرهاني الذي يستخدمه الفلاسفة والذي يقوم على مقدمات أولية **ونعرض لبعض صور الأقيسة عند المتكلمين :**

قياس الغائب على الشاهد: ومن أشهر الأقيسة التي شاعت بين المتكلمين هو القياس التمثيلي، وهو ما يسميه المتكلمون رد الغائب إلى الشاهد ومعناه أن يوجد حكم جزئي معين واحد، فينتقل حكمه إلى جزئى آخر يشابهه بوجه [28]

قياس الأولى : ويقوم هذا القياس على أن كل كمال ثبت للممكن أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه . وهو ما كان كمالا للموجود غير مستلزم للعدم ، فالواجب القديم أولى – وكل كمال للمخلوق فقد استفاده من خالقه ، فخالقه أحق به منه ، وكل نقص وعيب في نفسه ، وهو ما تضمن سلب هذا الكمال ، إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات ، فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى ([29]) .

قياس الإحراج : يقوم هذا القياس على أن الاختيار يتحتم بين بديلين كلاهما مكروه ، ولقد استخدم المتكلمون هذا القياس لإفحام الخصم وإبطال حجته ، واستخدموه في مناظراتهم للفرق غير الإسلامية من ثنوية وغيرها ، واستخدموه أيضا فيما بينهم ، فكل فرقة تستخدمه لإحراج و إبطال حجة مخالفيها ، وعلى سبيل المثال استخدم الماتريدي هذا النوع من القياس في العديد من مناظراته للثنوية في إبطال الامتزاج بين النور والظلمة ، فالامتزاج لا يخلو من أن يكون شرا أو خيرا ، فإن كان خيرا ، لا يخلو من أن يكون من الظلمة فيكون منها الخير ، وبطل قولهم بالاثنين من حيث لا يكون من الشر خير ولا من الخير شر ، وإن كان شرا فقد شاركه الخير في القبول فصار شرا ، وإن كان ذلك من النور ، فالوجهان قائمان به. وقياس الإحراج يلائم طبيعة المنهج الجدلي عند المتكلمين، الذي يرمي إلى إفحام الخصم وإبطال حجته.([30])

[28] أبو حامد الغزالى، معيار العلم في المنطق، دط،1997، دار الاندلس للطباعة والنشر، ص190.
[29] ابن تيمية ، درء التعارض العقل و النقل،2009 ،دار الكتب العلمية ،ص 29 ، 30.
[30] زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، ج 1ص 30.

التلازم : ذكر الغزالى حد التلازم بأن كل ما هو لازم للشيء فهو تابع له في كل حال ، فنفى اللازم يوجب بالضرورة نفي الملزوم ، ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود اللازم ، أما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما ، ويذكر الغزالى أن هذا الميزان وهو ميزان التلازم مأخوذ به في البراهين النظرية ، فإن كانت صفة العالم وتركيب الآدمى مرتبا عجيبا محكما فصانعه عالم ، وهذا في العقل أولى ومعلوم أنه عجيب مرتب ، وهذا مدرك بالعيان ، فيلزم منه أن صانعه عالم ، ثم نرتقي فنقول : إن كان صانعه عالما فهو حي ، ثم نقول : إن كان حيا عالما ، فهو قائم بنفسه وليس بعرض ، وهكذا ننتقل من صفة تركيب الآدمي إلى صفة صانعه وهو العلم ، ثم نعرج إلى الحياة ثم منها إلى الذات([31])

الإلزام: وهو إلزام الناس لوازم أقوالهم ، وإضافتها إليهم إضافة أقوالهم أنفسهم ، ولقد اختلفت المواقف من الإلزام ، فهل يصح أن نجعل لازم المذهب مذهبه ، أم أن لازم المذهب ليس بمذهب ، ولقد قال ابن تيمية في أحد فتاويه : إن اللازم نوعان **الأول**: لازم قوله الحق ، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه فإن لازم الحق حق ، ويجوز أن يضاف إليه ، إذا علم من حاله أنه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ، وكثيرا ما يضيف الناس إلى مذهب الأئمة من هذا الباب .

والثاني : لازم قوله الذي ليس بحق ، فهذا لا يجب التزامه ، إذ أكثر

ما فيه أنه تناقض ، وقد ثبت أن التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام ، ثم إن من عرف من حاله أنه يلتزمه بعد ظهوره فقد يضاف إليه ، وإلا فلا يجوز أن يضاف إليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه ، وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا بلازمه ، فما كان من اللوازم يرضى القائل بعد وضوحه فهو قوله ، وما لا يرضاه فليس قوله وإن كان متناقضا ، وهو الفرق بين اللازم الذي يجب التزامه مع الملزوم ، واللازم الذي يجب ترك الملزوم للزومه ، وهذ متوجه في اللوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها . فأما إذا نفي هو اللازم، لم يجز أن يضاف إليه اللازم بحال. ([32])

[31] الغزالي، القسطاس المستقيم، ص 34 ، 40.

[32] على سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ص214 ٠

المحاضرة الرابعة: العوامل المساهمة في نشأة الفرق الإسلامية.

تمهيد: ذهب مؤرخو المذاهب الإسلامية إلى أنه تكاملت عدة عوامل بعضها ديني وبعضها الآخر تاريخي، بعضها تبلور في الداخل الإسلامي فهو عامل داخلي، وبعضها الآخر مؤثر خارجي فهو من العوامل الخارجية، هذه المبررات شكلت بتكاملها المبررات الواقعية لنشأة الفرق الإسلامية

العوامل الداخلية:

طبيعة نصوص الوحي:

ورود المتشابه في القرآن الكريم: قال تعالى فيه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [33]

[33] سورة آل عمران الاية07

واختلف العلماء في تفسير الآيات المتشابهة، فمنهم من توقف فيها، ومنهم من أولها، والمؤولون اختلفوا في تأويلها، كاختلافهم في تفسير النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الأخرى، واختلافهم في إمكانية الجمع بينها.

وقد أدت محاولة فهم هذه النصوص إلى بروز مسألة التأويل كمسألة فقهية وكلامية نتج عنها خلاف بين المسلمين بين قائل به ومنكر له مثل السلف الذين حملوا النصوص على ظاهرها مع تأويل إجمالي فيقولون :الظاهر غير مراد .أما المتأخرين فقالوا بالتأويل التفصيلي. وهذا من أقوى الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق والمذاهب[34]

مسألة الامامة الكبرى:

وقد كان وراء هذا الخلاف حول الخلافة أو الإمامة بحث فلسفي حول السلطة التي كان يمارسها الرسول الام نفسه في حياته، فلم يكن الرسول صلوات الله عليه صاحب سلطة روحية فقط، بل كان حاكما. أي أنه كان يجمع بين السلطتين الدينية والروحية: ولهذا كان من الطبيعي أن يتساءل المسلمون حول طبيعة السلطة التي يزاولها خليفته: هل يشترط في الخليفة أو الإمام أن يجمع بين السلطتين الروحية والدينية. أم يكون صاحب سلطة زمنية فقط باعتبار أن السلطة الروحية انتهت بوفاة الرسول؟ الذين قالوا بأن الخليفة صاحب سلطة زمنية فقط هم الذين قالوا بأن الخلافة أو الإمامة تكون بالاتفاق والاختيار أي بالبيعة والاستفتاء، والشورى. وهؤلاء هم أنصار أبي بكر ومن بعده أنصار معاوية وذريته. وقد عرف هؤلاء وأنصارهم وأتباعهم بأهل السنة والجماعة. أما الذين قالوا بأن الخليفة لابد أن يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية، فهم الذين تشيعوا لعلي بن أبي طالب، وقالوا بأن الخلافة تكون بالنص والتعيين. وهم قد رأوا أن السلطة الروحية لم تنته بوفاة الرسول بل امتدت في

[34] قحطان بن عبد الرحمن الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ط3 ،2012، كتاب ناشرون ،لبنان ،ص44

علي بن أبي طالب وأيضا في الأئمة من بعده وهم أهل العترة. ولهذا نسبوا العصمة إلى على والأئمة من ذريته إلى جانب قولهم بعصمة النبي علام. وذلك من أجل أن يؤكدوا امتداد السلطة الروحية في الأئمة وعدم انقطاعها بوفاة الرسول. ولكي يؤكدوا أن الخلافة تكون بالنص والتعيين لا بالاختيار قدم الشيعة كثيرا من الآيات والأحاديث التي توحي بأن هناك نصا على أن يتولى علي بن أبي طالب الخلافة بعد الرسول، ومن بعده ذريته[35]

فما أن تمت البيعة لعلي حتى وجد نفسه بين عدوين: أحدهما بالبصرة يرأسهم طلحة والزبير وعائشة والآخر بالشام يرأسهم معاوية بن أبي سفيان. فاضطر إلى مقاتلة الفريقين ليردهما إلى الطاعة لتجتمع كلمة المسلمين بعد أن تفرقت. وبدأب محاربة طلحة والزبير وعائشة ومن تابعهم من أهل البصرة. فكانت موقعة الجمل التي قتل فيها الزبير بن العوام ثم طلحة وأعاد علي بن أبي طالب السيدة عائشة مكرمة إلى المدينة. ثم اتجه إلى صفين لمحاربة معاوية، وكان أن تقابلت جيوش الفريقين ولما انكسرت سيوفهما احتال معاوية – تبعا المشورة عمرو بن العاص –برفع المصاحف على أسنة الرماح، وكان أهل الشام. مع معاوية وأهل العراق واليمن مع على، فلما رأى أهل العراق المصاحف

اضطربوا وأشاروا على علي التحكيم. أي بأن يبعث على حكما (هو أبا موسى الأشعري) ويبعث معاوية حكما (هو عمر بن العاص) وكانت الهدنة التي خرج منها على وهو في موقف لا يحسد عليه . إذ اشتد الخلاف عليه وعلى مقدرته. ولم يلبث أن اتسعت دائرة المنكرين للهدنة الناقمين على علي حتى أن عليا عندما عاد إلى الكوفة لم ير فيها إلا مظاهر الحزن والحداد ومظاهر الساخطين عليه.

في هذا الجو نشأت فرقة الخوارج، وأهم ما يجمعهم أنهم يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان بعد ولايته بست سنوات وينكرون عليا بعد قبوله التحكيم في معركة

[35] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص17

صفين ويكفرون الحكمين (أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص) وأصحاب الجمل وكل من رضي بالتحكيم كما يكفرون معاوية[36]

فهذا أول خلاف بين المسلمين حول الإمامة. وكان خلافا سياسيا كما رأينا لكنه تطور حتى أصبح خلافا فلسفيا قسم المسلمين إلى حزب الشيعة وحزب أهل السنة والجماعة وحزب الخوارج.

العمل والايمان:

مسألة الإمامة نشأ عنها موضوع أخر أثار جدلا دينيا و كان له أكبر الأثر في تعميق الخلاف بين الفرق المتنازعة لأنه كان يتصل بموضوع خطير هو تعريف الإيمان. إذ كان من الطبيعي في هذا الجو المشحون أن يرمي كل فريق أصحاب الفريق الآخر بالكفر. وأخذت هذه الأسئلة تتردد على الألسن: ما هو الإيمان؟ ومتى يظل المؤمن مؤمنا؟ وما هو الكفر؟ هي الإيمان مجرد تصديق بالقلب وإقرار باللسان بأن الله واحد وبأن محمدا رسوله؟ إن كان هذا هو الإيمان فالجميع سواء في إيمانهم، ولا سبيل أمام أحد الفريقين إلى أن يتهم الفريق الآخر بالكفر، أو على الأقل بالتقصير في إيمانه: لابد إذن أن يتجه تفكير الجميع إلى إدخال عنصر جديد في دائرة الإيمان، ألا وهو العمل، فليس يكفي لكي يكون المؤمن مؤمنا أن يصدق بالقلب واللسان بل لابد أن يعمل عملا صالحا. ولما كانت أعمال كل فريق تبدو في نظر الفريق الآخر على أنها كبائر وأهمها القتل واستباحة الحرمات، فقد اتفق كل من الشيعة والخوارج على إدخال عنصر العمل في الإيمان ليتسنى لأصحاب كل فريق منهما أن يرمى أصحاب الفريق الآخر بالكفر وأن يحكم عليهم بالخلود في النار،

[36] يحي هويدي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،ط1، 2002 ،المكتبة المدنية ، القاهرة ،ص79.

وكيف حكم الخوارج على خصومهم من المتشيعين لعلي ومن أهل السنة والجماعة بالكفر وكيف أن الأمر قد بلغ حداً أصبحوا معه يكتفون بأن يطلقوا عليهم اسم " الموحدين " ويستكثرون أن يدخلوهم معهم في دائرة الإسلام والمسلمين.

وعلى هذا النحو نشا التفكير في مسألة فلسفية هامة هي مسالة الصلة بين الإيمان والعمل . وكما رأينا فإن الشيعة والخوارج – بالرغم من الخلاف السياسي بينهم حول موضوع الإمامة – إلا أن كلمتهم جميعا قد اتفقت على إدخال العمل كعنصر أساسي من عناصر الإيمان .

وأما هذا التكفير الإجمالي قامت فرقة أخرى هي فرقة المرجئة [37]كانت مهمتها الرئيسية أن لا تيأس المذنب من رحمة الله وأن تنظر إليه على أنه مؤمن لم يفقد إيمانه على الرغم من فسقه وارتكابه الذنوب ، ولعل ما يجب أن يقال في تبرير نشأة هذه الفرقة أنها رأت أن الشيعة تكفر الخوارج وأن الخوارج يكفرون الشيعة وأن أهل السنة والجماعة ينكرون موقف هاتين الفريقتين كما تنكر هاتان الفرقتان موقف أهل السنة والجماعة وأن المسلمين جميعهم بهذا الاعتبار سيصبحون كفرة ، فقالت المرجئة بأن المسلمين جميعهم مؤمنون ، وأرجأت العمل أي أجلت الحكم فيه ، وأخرجته من دائرة الإيمان . ومعنى هذا أن المرجئة فصلت بين العمل والإيمان، فالعمل عندها شيء والإيمان شيء آخر. الأول عمل بالجوارح والثاني تصديق بالقلب وارتكاب الذنوب في رأيهم لا يهدم العقيدة ولا يخرج الإنسان من حظيرة الإيمان، بل يجعل صاحبه فاسقا سيتولى الله حسابه وسيعاقبه ، ولكن مصيره الجنة في نهاية الأمر ، يقول الله تعالى : " قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم». [38]

[38] عبد الفتاح المغربي،الفرق الكلامية مدخل ودراسة،ص36.

فالمرجئة سموا كذلك لأنهم أرجأوا الحكم على العمل أو تركوا الحكم فيه لله، وذهبوا إلى أنه أي العمل لا يمس إيمان المؤمن. وقيل أيضا إنهم سموا مرجئة لأنهم كانوا يبعثون الرجاء في الناس، ولكن الشائع عنهم أنهم سموا كذلك إرجائهم أو تأجيلهم الحكم في مرتكبي الذنوب والكبائر. وقد استتبع هذا أنهم أرجأوا الحكم في بني أمية ولم يحكموا عليهم بالكفر كما فعلت الخوارج والشيعة ويعتبر هذا مهادنة منهم للحكام. فحكام بني أمية في نظر المرجئة، حتى ما نسب إليه الفسق منهم، خلفاء شرعيون ما دام قد انعقدت لهم البيعة، ولهذا وجب طاعتهم. من أجل هذا استطاعت المرجئة أن تضمن رضا حكام بني أمية عليهم، وعلى الأقل استطاعت أن تضمن عدم التعرض لهم.[39]

القدر وأفعال العباد.

لقد شاعت عقيدة الجبر في ظل الحكام الأمويين ، فلم يكن تولى معاوية للحكم يلقي رضا واتفاقا من جميع المسلمين ، وغني عن البيان ذكر معارضة على بن أبي طالب وحروبه مع معاوية ، ومعارضة الشيعة والخوارج لتولي معاوية ، كذلك لم يكن للأمويين فضل السبق في الإسلام بل كانوا من الطلقاء أو المؤلفة قلوبهم ممن أسلم عقب فتح مكة ، وكان لا بد لهم أن يدعموا سلطانهم ويعوضوا نقص أهليتهم لإمامة المسلمين حتى يكرهوا الناس على طاعتهم بالفكرة إلى جانب القوة ، ولم تكن الفكرة إلا عقيدة الجبر، فوصولهم إلى الحكم وسلطانهم على الناس بل وأعمالهم التي قد يخالف بعضها تعاليم الإسلام ، إنما بقدر من الله قد قدره لا حيلة للناس في دفعه » .

ويؤكد هذا ربط القاضي عبد الجبار بين القول بالجبر والأحداث السياسية ، فذكر أن أول من قال به وأظهره معاوية ، فأظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه ، ليجعله عذرا فيما يأتيه ، ويوهم أنه مصيب فيه.

[39] يحيى هويدي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ص70.

ولقد كان رد الفعل لشيوع عقيدة الجبر ، أن جاهر البعض معارضين مبدأ الجبر ، وهؤلاء سموا قدرية ، وأولهم معبد الجهني الذي أتي الحسن البصري مع عطاء بن يسار قائلا : يا أبا سعيد ، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما أعمالنا على قدر الله .

وهكذا نشأت مشكلة الجبر والاختيار في ظل تلك الظروف السياسية ، ومثل الجبرية جهم بن صفوان ، وهو من أوائل القائلين بالجبر ، ومعبد الجهني وغيلان الدمشقي من أوائل القائلين بحرية الإرادة . ونشأ في كنفها مبدأ الجبر ومبدأ الاختيار ، وتطرقت الفرق إلى التأويل العقلي لآيات القرآن والأحاديث ، وبدأ النظر العقلي في أصول الدين ، وتطرف البعض في آرائه ، وظهرت الآراء المغالية والمتطرفة ، وظهر التأويل الفاسد ، والمعنى الباطن ، ونظرية الإمامة والمهدي المنتظر ، وغير ذلك من الآراء التي تعد غريبة عن الإسلام . [40]

ب _العوامل الخارجية:

العوامل الخارجية التي ساهمت في نشوء وتطور التدوين في الجانب العقائدي، وهي احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات والمذاهب الفلسفية، عن طريق اللقاء المباشر والجدل مع أصحابها، أو عن طريق الترجمة التي بدأت في عهد الدولة الأموية، ثم اتسعت في عهد الدولة العباسية

حركة الترجمة:

[40] عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة، ص58

الترجمة التي بدأت في عهد الدولة الأموية، ثم اتسعت في عهد الدولة العباسية. وكان للخليفة المأمون أثر كبير في هذا، حيث فعل ما لم يفعله السابقون، وهو أنه ترجم الكتب الخاصة بالإلهيات والأخلاق وأمثال ذلك مما سموه بـ "ما وراء الطبيعة".

وكان لترجمة كتب الفلسفة اليونانية والرومانية وإقبال بعض المسلمين عليها، أثر في بعض المسلمين الذين فتنوا بها، فحاولوا التفلسف في ضوئها وتأثروا بها منهجا وموضوعا حين راحوا يفسرون تعاليم الإسلام في ضوء هذه الفلسفة، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام، وفسّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني، على حد تعبير العلامة المفكر محمد إقبال رحمه الله. ومع أن هذه الفلسفة وسَّعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام، فإنها غشَّت على أبصارهم في فهم القرآن[41]

شبهات الأديان السابقة: ولما انتهى المسلمون من الفتح ودخل في الإسلام كثير من أصحاب الديانات الأخرى: اليهودية والنصرانية والمجوسية والدهرية وغيرها أخذت تظهر أفكار جديدة صيغت من أصحاب الديانات القديمة في ثوب دينهم الجديد

شبهات اليهودية:

فاليهود الذين عاصرهم النبي –صلى الله عليه وسلم–في المدينة بعد الهجرة، وهم الذين كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ببعثة نبي جديد، هم الذين كفروا بالنبي –صلى الله عليه وسلم–وناصبوه العداء من اللحظة الأولى، وتنوّعت وسائلهم في الصد عن الدعوة، والمماطلة والجدال، وإلقاء الشبهات، والحرب الفكرية والنفسية.

وكان القرآن الكريم يتولى مناقشتهم والرد عليهم وبيان مؤامراتهم، كما أوضح تحريفهم لكتبهم، ورسم صورة صادقة لطبيعتهم ونفسيتهم. وبعد أن خرج اليهود من الجزيرة العربية، قاموا بدور كبير في عدائهم لهذا الدين –ومنهم من دخل فيه ظاهرا وهم على حقد وضغينة– وقد بدأ اتصالهم بالمسلمين لإثارة الفتنة، فكان لعبد الله بن سبأ دوره في الفتنة

[41] محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام،2015 ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،ص8، 9.

في عهد عثمان –رضي الله عنه– ثم تتابعت مظاهر الفتنة في نشر فكرة الإمام المعصوم والوصي والرجعة التي تلقفتها عنهم الفرق الباطنية، وأثاروا الجدل بين المسلمين حول الذات الإلهية والصفات، ومعروف عنهم التشبيه والتجسيم كما هو في كتبهم، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى التراث الإسلامي مما عرف بـ "الإسرائيليات" في كتب التفسير والحديث. وأثاروا أيضا بين المسلمين الجدل حول الجبر والاختيار وغير ذلك من أمور عقائدية، وعندئذ قام المسلمون بالرد على مفتريات اليهود وشبهاتهم وناقشوا عقائدهم، واصطنعوا لذلك منهجا يقوم على النظر والدليل، فكان بعد ذلك هذا التراث الإسلامي من كتب العقيدة والرد على اليهود.[42]

شبهات النصرانية:

فقد بدأ الجدال بينهم وبين المسلمين في الحبشة أولا، عند الهجرة الأولى للمسلمين، في حقيقة المسيح، وفي الكلمة وغيرها، وفي مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح. ثم وَفَدَ نصارى نجران إلى المدينة، وجادلوا النبي –صلى الله عليه وسلم–في شأن عيسى –عليه السلام–وقد دعاهم النبي –صلى الله عليه وسلم–إلى المباهلة، قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[43]ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق ومصر، فبدأت النصرانية تنازعه نزاعا فكريا شديدا. وثار الجدل حول طبيعة المسيح، وحول مسائل الألوهية، وفكرة الجوهر والعَرَض، والأقانيم الثلاثة، والوحدانية، وفكرة الخطيئة والصلب. وبلغ الجدل ذروته من الشدة بعد "يوحنا الدمشقي" "طبيب الأمويين الذي وضع للنصارى أصول الجدل مع المسلمين" على يد "يوحنا النقيوسي" المصري الذي رحل إلى الحبشة وبدأ يرسل رسائله إلى أقباط مصر، يحاول فيها

[42] د عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2 ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ص63،

[43] آل عمران: لأية 61

مناقشة العقائد الإسلامية، والحيلولة دون اعتناقهم الإسلام ثم تتابع النقاش في عهد العباسيين. وساعد هذا الجدل على توجيه أنظار المسلمين إلى معالجة مسائل جديدة، ومشكلات عقائدية ظهرت على سطح المجتمع الفكري. وقد يكون علم الكلام أيضا – كما سمي في فترة من الزمن–نتيجة التأثر بالكلام النصراني أو اللاهوت.[44]

[44] د. على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام 8، ج 1، دار المعارف، القاهرة، ص62

المحاضرة الخامسة: الأصول المنهجية للخوارج.

تعريف الخوارج

تعريف الخوارج في اللغة: جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس ([45]).

تعريف الخوارج اصطلاحا: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك: منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً عاماً، اعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان. ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه. وفي اصطلاح علماء الفرق فيؤخذ وجهات نظر ثلاثة في التعريف بالخوارج:

- من يرى أنهم الخارجون على الإمام الحق في أي زمان.
- من يرى أنهم الخارجون عن الإمام علي ومن يرون رأيهم.
- ومن يرى أنهم الخارجون بعد الإمام علي ابتداءً من الأزارقة.[46]

نشأة الخوارج:

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم، وخلاصة ذلك ما يلي:

أنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.

[45] كتب اللغة مادة (خرج)، انظر: ((تهذيب اللغة)) (7/ 50)، ((تاج العروس)) (2/ 30).

[46] غالب عواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص19

أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية. أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجح. أنهم ظهروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة 64هـ، وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها:

أما بالنسبة **للقول الأول**، فإن المقصود به ما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة–عبد الله ذي الخويصرة التميمي–في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل –حاشاه – في قسمتها. وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية ([47])

وأما بالنسبة **للقول الثاني**، فهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز (2) ، ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكلوا فرقة مستقلة –وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام –إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

وأما بالنسبة **للقول الثالث**؛ وهو للورجلاني الإباضي، فأنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة ([48]).

القول الرابع: أن نشأة الخوارج بدأت سنة 64هـ بقيادة نافع بن الأزرق في أواخر ولاية ابن زياد وهذا الرأي لعلي يحيى معمر الإباضي بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق؛ فإنه لم يقل به غير من

[47] غالب عواجي ،فرق معاصرة 1/ 232«موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية» (4/ 332 بترقيم الشاملة آليا):
[48] الدليل لأهل العقول) (ص15)»

ذكرنا من علماء الإباضية؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن سار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم ([49])

القول الخامس: أن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي رضي الله عنه وخروجهم عليه، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم، ومن هؤلاء الأشعري فقد أرخ للخوارج، وأقدم من أرخ لهم منهم هم الخارجون على الإمام علي وقال عنهم: " والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب. وقد تابعه في صنيعه البغدادي؛ حيث بدأ التاريخ للخوارج بذكر الخارجين على علي رضي الله عنه ([50])

هذه هي الأقوال في بدء نشأة الخوارج، وعلينا في اختيار ما نراه صحيحا منها أن نفرق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراؤها الخاصة، ولها تجمعها الذي تحافظ عليه وتعمل به على نصرة هذه الآراء.

فرق الخوارج:

الخوارج عشرون فرقة، ذكرها البغدادي صاحب الفرق بين الفرق وهي: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، ثم العجاردة، نذكر فرق خمسة منها، رأى الباحثون قبلنا أنها أشهر فرق الخوارج، وهي:

أولًا: المحكمة الأولى:

وهم من خرج على عليٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حين قبل التحكيم، ويقال لهم: محكمة، وشراة، وسموا محكمة؛ لقولهم: " لا حكم إلا لله "، وأما تسميتهم بالشراة فمحمولة على قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)، فكانوا يقولون: شرينا أنفسنا في طاعة

[49] علي يحيي معمر،الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص377، وانظر علي يحيي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص33.
[50] البغدادي، الفرق بين الفرق، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص74

وذهب المحكمة الأولى –كسائر الخوارج–إلى تكفير علي وعثمان، وأصحاب الجمل وصفين، ومعاوية وصحبه، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم. ومن آرائهم كذلك تكفير كل صاحب ذنب ومعصية، والقول بخلوده في النار.[51]

ثانيًا: الأزارقة: تنسب هذه الفرقة إلى نافع بن الأزرق الحنفي، وهم أقوى فرق الخوارج بأسًا وأعزها نفرًا، يقول البغدادي: " ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددًا ولا أشد منهم شوكة. وقد بايع الأزارقة نافع بن الأزرق وسموه أمير المؤمنين، ولم يلبث أن انضم إليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين ألفًا.

أجمل عبد القاهر البغدادي مبادئ الأزارقة في مسائل أربعة:

أولاً: قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، وكانت المحكمة الأولى يقولون: إنهم كفرة لا مشركون.

ثانيًا: قولهم: إن القعدة –ممن كان على رأيهم–عن الهجرة إليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم.

ثالثًا: أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم: أن يُدْفعَ إليه أسير من مخالفيهم ويأمروه بقتله، فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم، وإن لم يقتله قالوا: هذا منافق ومشرك وقتلوه.

رابعًا: استباحوا قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم، وزعموا أن الأطفال مشركون، وقطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار.

ومن آرائهم كذلك: أن مرتكب الكبيرة والمعصية كافر مخلد في النار، وأن دار مخالفيهم دار كفر، كما يكفرون –كسائر الخوارج–عليًّا في التحكيم، والحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص»[52]

ثالثًا: النجدات: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، والسبب في ظهور هذه الفرقة أن بعض الخوارج الأزارقة قد نقموا من رئيسهم نافع بن الأزرق براءته من القعدة عنه بعد أن كانوا على رأيه وتكفيره إياهم، وأنه استحل قتل أطفال مخالفيه ونسائهم؛ ففارق نافعًا جماعة من أتباعه منهم أبو فديك وعطية

[51] تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، ص 106
[52] المصدر نفسه، ج1، ص109.

الحنفي، وراشد الطويل وغيرهم، وذهبوا إلى اليمامة، وبايعوا بها نجدة بن عامر وكفروا من قال بتكفير القعدة منهم عن الهجرة إليهم، كما كفروا من قال بإمامة نافع.

ومن المسائل التي خالف فيها النجدات الأزارقة استحلالهم دماء أهل الذمة، وأما الأزارقة فذهبوا إلى تحريم دمائهم احترامًا لذمتهم التي دخلوا بها في أمان أهل الإسلام.

وجماع مذهب النجدات أن الدِّين أمران:

أحدهما: معرفة اللَّه تعالى ومعرفة رسوله، وتحريم دماء المسلمين وأموالهم.

والثاني: الإقرار بما جاء من عند اللَّه جملة.

وما سوى ذلك من التحريم والتحليل وسائر الشرائع، فإن الناس يعذرون بجهلها، وأنه لا يأثم المجتهد إذا أخطأ.

رابعًا: الصفرية: تنسب هذه الفرقة من الخوارج إلى زياد بن الأصفر، أما الحكم على مرتكب الكبيرة، وتباينت آراؤهم في ذلك أشد التباين: فمنهم من ذهب إلى الحكم عليه بالشرك، شأنهم في ذلك شأن الأزارقة. وزعم بعضهم أن الذنب الموضوع له حد لا نتجاوز تسمية اللَّه فيه من أنه زانٍ أو سارق أو قاذف وليس صاحبه كافرًا ولا مشركًا، أما الذنب الذي لم تقرر له الشريعة حدًّا كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر. وثمة من الصفرية من رأى أن صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي فيحده، ولم ير الصفرية –خلافًا للأزارقة– قتل أطفال مخالفيهم وسبي نسائهم، كما أنهم لا يوافقون الأزارقة فيما ذهبوا إليه من عذاب الأطفال. ومن أئمة الصفرية: عمران بن حطان السدوسي، وأبو بلال مرداس الخارجي.[53]

خامسًا: الإباضية: وإمام هذه الفرقة عبد اللَّه بن إباض، به تعرف وإليه تنسب، ويقول الإمام مُحَمَّد أبو زهرة عن الإباضية: " وهم أكثر الخوارج اعتدالًا، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرًا، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو؛ ولذلك بقوا، ولهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات الصحراء الغربية، وبعض آخر في بلاد الزنجبار، ولهم آراء فقهية، وقد اقتبست القوانين

[53] تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، ص 112.

المصرية في المواريث بعض آرائهم، وذلك في الميراث بولاء العتاقة، فإن القانون المصري أخره عن كل الورثة حتى عن الرد على أحد الزوجين، مع أن المذاهب الأربعة كلها تجعله عقب العصبة النسبية ويسبق الرد على أصحاب الفروض الأقارب ".[54]

أهم مبادئ الخوارج: نشير فيما يلي إلى أهم المبادئ التي يقول بها معظم الخوارج:

(أ) رأيهم في الإمامة: لا شك أن موضوع الإمامة قد استحوذ على فكر الخوارج، ولم تكن الشيعة وحدها هي التي تهتم بذلك المبدأ، إذ أن حول هذا المبدأ والاختلاف فيه كانت نشأة الخوارج أيضا. يرى الخوارج وجوب الإمامة ما عدا النجدات ، ويقول ابن حزم : « اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله علم ، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة إنما عليهم أن يتعاطوا الحق فيما بينهم ([55]) ، ولا شك أن نظرة النجدات من الخوارج ، غير واقعية ، لأنه لا بد من حاكم يقيم حدود الله وأحكامه ولو ترك الناس وشأنهم لاختلفوا في ذلك ، والخوارج هدفهم العام هو إقامة حدود الدين ، ولا يخفى دور السلطة في تحقيق ذلك . ولقد علق الخوارج أهمية كبيرة على الإمامة، ورأوا في صلاحها صلاح للأمة، وفي فسادها فساد للأمة، فمنهم من يروى أنه إذا كفر الإمام كفرت الرعية بأسرها ([56]) ويشير هذا إلى أهمية دور الإمام، وإلى ضرورة وجود الإمام الصالح، وأيضا يشير إلى واجب الرعية في تقويم الإمام المعوج أو أن مصيرها مرتبط بمصيره، وسوف نذكر ذلك فيما بعد، والواقع أن جواز الخوارج أن تكون الإمامة في غير قريش، ينبع من نظرتهم إلى مفهوم الدولة في الإسلام، فهم يرمون إلى إقامة أمة إسلامية أساسها الدين، ولا تقوم على عصبية معينة، وتشمل كل المسلمين، ويتمتعون بكل الحقوق والواجبات، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى، ولا تمايز الطبقة أو نسل معين على غيره، إنها نظرة تنبع من مبدأ المساواة الذي يقوم على دعوة القرآن في تقرير مبدأ المساواة، ولا نريد الدخول في تفصيلات أكثر من هذا حتى لا يخرج البحث عن حدوده ومجالاته. أما عن باقي الشروط اللازم توافرها في الإمام، فلا خلاف كبير بين الخوارج وغيرهم في تلك الشروط، من ضرورة أن يكون عالما

[54] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص30.
[55] ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج4، دار الجيل ، ص 87.
[56] الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1،دار المعرفة، ص 171.

بالدين مجتهدا فيه، وله خبرة بأمر الحروب، وإقامة العدل، علاوة على بعض الشروط العامة التي يجب توافرها فيه، كأن يكون مسلما حرا، وسليم الأعضاء، بالغا، عاقلا، وأن يكون ذكرا فلا تجوز إمامة امرأة. وجميع الخوارج فيما يروى عنهم الأشعري يقولون باستخدام السيف لإزالة أئمة الجور، ومنعهم أن يكونوا أئمة، بأن شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف ([57])

فالثورة على الحاكم الظالم واجبة، ومقاومته ضرورة، وتاريخ الخوارج كان تطبيقا عمليا لذلك الرأي، فقد كانوا يجاهرون به في معظم الأحيان، ويطبقونه كلما سنحت لهم الفرصة بذلك، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تبرأوا ممن كان يوالى السلطان حتى ولو كان منهم.

(ب) خلود صاحب الكبيرة: يذكر الأشعري إجماع الخوارج على أن كل كبيرة كفر، إلا «النجدات» فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذابا دائما وهذا الموقف المتشدد من الخوارج اتجاه أصحاب الذنوب، هو نتيجة **لاعتبارين**:

الأول: هو موقفهم المتشدد في الدين، فقد كانوا أهل عبادة وتقوى، وتمسكوا بظواهر النصوص، ولم يقبلوا التهاون أو التفريط في حد من حدود الله.

الثاني: هو جعلهم العمل من الإيمان وركن من أركانه الأساسية، فالإيمان عقد، والعمل أحد أركان هذا العقد، ومن أخل بأحد شروط العقد، سقط العقد كله، وخرج من الإيمان إلى الكفر، وتعويل الخوارج على العمل، لأنهم أهل سلوك عملي، وليس الدين عندهم مجرد اعتقاد نظرى، بل لابد من مطابقة السلوك لهذا الاعتقاد، وهم قد جعلوا الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.[58]

[57] الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1،المكتبة العصرية، ص 204
[58] المصدر نفسه، ج 1 ،ص 197

المحاضرة السادسة: الأصول المنهجية للشيعة.

تعريف الشيعة:

الشيعة في اللغة: هم الأتباع والأنصار. جاء في القاموس: (شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره، والفرقة على حده، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وجمعه أشياع وشيع) ([59]). (وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. وكل من عاون إنساناً وتحزب له فهو له شيعة) ([60]).فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[61]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[62] فلفظ الشيعة في الآية الأولى تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما

الشيعة في الاصطلاح: لفظ الشيعة يطلق على (أتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآلة بلا فصل، ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء) ثم يذكر أنه يدخل في هذا التعريف "الإمامية والجارودية الزيدية"، أما باقي فرق الزيدية فلا تشملهم سمة التشيع وليسوا من الشيعة وكذا الفرق الأخرى ([63])

[59] تاج العروس: مادة شاع: ج8، ص 450،
[60] القاموس المحيط : مادة شاع
[61] سورة القصص آية/15.
[62] سورة الصافات آية/83
[63] ناصر بن علي ،عقيدة أهل السنة في الصحابة، ج3، ص 890.

بداية نشأة التشيع: لقد قرر المحققون من أهل العلم بالتاريخ والمقالات أن أول من زرع فكرة التشيع هو عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام بغية الكيد له ولأهله بنشر العقائد الفاسدة وزعزعة العقيدة الإسلامية الصافية من قلوب الناس وقد ظهر ابن السوداء ـ عبد الله بن سبأ ـ أيام الخليفة الثالث ذي النورين عثمان رضي الله عنه وأرضاه حيث تظاهر بالإسلام وأخذ في التنقل في البلدان، فقد اتجه من المدينة إلى البصرة، ثم إلى الكوفة ثم إلى مصر وأخذ ينفث سمومه وينشر أفكاره الخبيثة، وقد نشط ببث فكرتين أساسيتين لمخططه اليهودي:

الأولى: دعوته إلى اعتقاد رجعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول: "عجباً ممن يزعم أن عيسى سيرجع ويكذب بأن محمداً سيرجع وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[64].

الثانية: دعوته إلى اعتقاد "أن لكل نبي وصياً وعلي وصي لمحمد ومحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على حق وصيه وتناول أمر الأمة". وقد استجاب له والتف حوله لفيف من الفاسدين والحاقدين وألفوا جماعة من ضعاف النفوس ويتسترون باسم الدين ويدعون إلى المطالبة بإسناد الأمر إلى علي رضي الله عنه نظراً إلى اعتقادهم الفاسد أنه خاتم أوصياء محمد وأخذ ابن سبأ يأمر أتباعه الذين استجابوا له بتحريك هذا الأمر والبدء بالطعن على الأمراء[65]

فرق الشيعة : فرق الشيعة المعاصرة اليوم كثيرة ، منها ثلاث هي :

الإمامية الاثنا عشرية:

هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا

[64] سورة القصص، الآية85

[65] فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، ج1،ص 316.وناصر بن علي، عقيدة أهل السنة في الصحابة 3ج، ص 897.

يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا، ويسلك كل واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصا هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه، وقد عين عليا رضي الله عنه في مواضع تعريضا، وفي مواضع تصريحا[66]

– **الزيدية**: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء[67]

ويعتبرون من أقرب الفرق الشيعية الأهل السنة، ما عدا فرقة منهم تسمي الجارودية، فهي فرقة من الروافض وإن تسمت بالزيدية، وموطن الزيدية في اليمن.

– **الإسماعيلية** : فهم من فرق الشيعة أثبتوا الإمامة بعد جعفر الصادق لابنه إسماعيل وهو أكبر أبنائه نصا من أبيه جعفر عليه .. ثم اختلفوا في موته حال حياة أبيه، وإنما فاته النص عليه من أبيه عندهم انتقال الإمامة في هذه الحالة إلى أولاده خاصة كما نص موسى عليه السلام إلى أخيه هارون عليه السلام «وتوفى هارون في حياة موسى وكانت فائدة انتقال الأمر إلى أولاده لأن النص لا يرجع القهقرى والقول بالبدء محال .. ومنهم من قال أنه لم يمت في حياة أبيه ولكنه أظهر الموت تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل .. قالوا وبعد إسماعيل انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد. ثم ابتدئ بنيه الأئمة المشعورين .. إذ قالوا ولن تخلوا الأرض من إمام قاهر إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور ..

فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن تكون حجته مستورة .. وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين .. ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية .. وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية .. وكانت لهم دعوة في كل زمان .. ومقالة جديدة بكل لسان، وأشهر ألقابهم الباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا»[68]

عقائد الشيعة:

قولهم بالبداء على الله:

66 الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 162.
67 الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 154
68 موسوعة الفقه الإسلامي -المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (25/ 180):

تعريف البداء نجد أن «القاموس» يقول: بدا بدوا بدأة:ظهر، وبدا له في الأمر بدوا وبداء وبداة : نشأ له فيه الرأي ، فالبداء في اللغة له معنيان: الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة؛ أي: ظهر.

نشأة الرأي الجديد، قال الفراء: بدالى بداء؛ أي: ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء؛ أي: نشأ له فيه رأى، وكلام المعنيين ورد في القرآن:

فمن **الأول** قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [69]

ومن **الثاني** قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[70]

وواضح أن البداء .. بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعي أنه ما عظم الله – عز وجل – مثل البداء، سبحانك هذا بهتان عظيم ([71]).

قولهم بالبداء على الله – سبحانه وتعالى من أصول الاثنا عشرية القول بالبداء على الله – سبحانه وتعالى – حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء، وما عظم الله – عز وجل – مثل البداء ، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه، وما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء ، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثنا عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام؛ وهو شيخهم الكليني حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من «الكافي»، وجعله ضمن كتاب: التوحيد، وخصص له بابا بعنوان : «باب البداء» ، وذكر فيه ستة عشر حديثا من الأحاديث المنسوبة للأئمة .

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود، فقد جاء في التوارة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه). ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة التي أخذها من «توراته» في المجتمع الإسلامي، الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع، وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية على رواه ؛ ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء، وأن

[69] سورة البقرة، الآية 284
[70] سورة يوسف، الآية 35
[71] على الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة دار ابن حزم، القاهرة، ص283

الله تبدو له البداوات ، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرق «الكيسانية» أو «المختارية» أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي؛ وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة. وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر ، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد.

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله، التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى، والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة؛ منها قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿59﴾[72]﴾

وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[73]

قال ابن تيمية – رحمه الله–: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي:

أحدهما: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، وذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة والمشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به. [74]

عقيدة الإمامة :

[72] سورة الأنعام ،الآية 59.
[73] سورة الملك ،الآية 14.
[74] علي الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة،ص284

أهم عقائد الشيعة الإمامية الإثني عشرية هي عقيدة الإمامة، فهي الأصل الذي تدور عليه أحاديثهم، وترجع إليه عقائدهم، ويلمس أثره في فقههم وأصولهم وتفاسيرهم وسائر علومهم. وهي أن الله سبحانه وتعالى عهد بالخلافة وولاية أمر المسلمين بعد رسول الله صل الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم لأحد عشر إماما من بعده كلهم من نسله. ويعتقدون كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على ذلك في عدة مواطن، وأنه نصب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم غدير خم، كما أنه صلى الله عليه وسلم بين أن الأئمة من بعده اثنا عشر، ونص عليهم جميعا بأسمائهم، ثم نص المتقدم منهم على من بعده، وهم:

1. أبو الحسن علي بن أبي طالب).
2. أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب.
3. أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب).
4. أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
5. أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
6. أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
7. أبو إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
8. أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
9. أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
10. أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
11. أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
12. أبو القاسم محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

ولهذه العقيدة عندهم شروط وأحكام وتفصيلات عديدة وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي «باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد»، و«باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحدا فواحدا». ويبين شيخهم كاشف الغطاء أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة: «إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، كما أن الله يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة، ويؤيده بالمعجزة التي هي لطف من الله عليه، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بها»). ولذلك قال شيخهم المجلسي: «إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال». [75]

التقية : عقيدة التقية عند الشيعة من أهم العقائد التي تدين بها الشيعة هي عقيدة التقية ، وهي أن يظهر الإنسان بخلاف ما يبطن وتعتبر عندهم من الركائز الأساسية عند التعامل مع غيرهم ، وبخاصة مع أهل السنة الذين تعتبرهم الشيعة شرا من اليهود والنصارى . وعلى هذا فقد شرعت التقية عند الشيعة لأجل مداراة مخالفيهم وكتمان اعتقادهم المنحرف ، وفي ذلك يقول الشيخ المفيد : التقية كتمان الحق ، وستر الاعتقاد فيه ، ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا. والتقية عند الشيعة باب فتحه الله سبحانه وتعالى للعباد وأمرهم بارتكابه وألزمهم به ، كما أوجب عليهم الصلاة والصيام يقول شيخهم ورئيس محدثيهم محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق في رسالة الاعتقادات واعتقادنا في التقية أنها واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج من دين الله ، وعن دين الإمامية و خالف الله ورسوله والأئمة »وقد وردت روايات عديدة في كتب الشيعة تبين مدى منزلة التقية، ومكانتها في دينهم. فقد روي الكليني وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: «التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له» وعن أبي عبد الله أنه قال: «إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ، والمسح على الخفين» ([76]).

عقيدة الرجعة: عقيدة الرجعة من العقائد الراسخة عند الشيعة، حتى إنهم قالوا: ليس منا من لم يؤمن برجعتنا (ويقولون: إن ثبوت الرجعة مما أجمعت عليه الشيعة الحقة والفرقة المحقة؛ بل هي من

[75] خالد بن أحمد الزهراني ،موقف الطاهر بن عاشور من الشيعة الاثنا عشرية،ط1 ،2010 ، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب، ص90

[76] المرجع نفسه، ص209

ضروريات مذهبهم ويعنون بالرجعة: أن أئمتهم الاثني عشر سيرجعون إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة لإقامة العدل في الأرض، والانتقام من أعدائهم. فأئمة الشيعة مبتدئا بالإمام علي، ومنتهيا بالحسن العسكري الذي هو الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذي أرسى قواعده بالعدل، والقسط الإمام المهدي الذي يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطا وعدلا ويمهد الطريق الرجعة أجداده وتسلمهم الحكم، وإن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود في إمامتهم سيحكم الأرض ردحا من الزمن. ثم يتوفى مرة أخرى ليخلفه ابنه في الحكم حتى ينتهي إلى الحسن العسكري، وسيكون بعد ذلك يوم القيامة، كل هذا تعويضا لهم عن حقهم الشرعي، في الخلافة والحكومة التي لم يستطيعوا ممارستها في حياتهم قبل الرجعة».

والذين كتبوا في الرجعة من أعلام الشيعة فسروا الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[77]: إن الغرض من العباد الصالحين إنما هم أئمة الشيعة. لم يكتفوا إلى هذا الحد من القول برجعة أئمة الشيعة فقط؛ بل أضافوا عليها أفكارا أخرى، وكلها أيضا مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة، وقالوا: إن الرجعة لا تشمل أئمة الشيعة فحسب؛ بل تشمل غيرهم وذكروا أسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول ل زعموا أنهم من أعداء الأئمة، والذين منعوهم من الوصول إلى حقهم في الحكم كل هذا حتى يتسنى للأئمة الانتقام منهم في هذه الدنيا. وهذه بعض نصوص القوم في الإيمان بعقيدة الرجعة: قال الأحسائي: «اعلم أن الرجعة سر من سر الله، والقول بها ثمرة الإيمان بالغيب، والمراد بها رجوع الأئمة –عليهم السلام –وشيعتهم وأعدائهم ممن محض من الفريقين الإيمان أو الكفر محضا، ولم يكن ممن أهلكه الله في الدنيا بالعذاب، فإن من أهلكه الله في الدنيا بالعذاب لا يرجع إلى الدنيا».[78]

[77] سورة الأنبياء، الآية105

[78] محمد بيومي، حقيقة الشيعة،ط1، 2007،دار الغد الجديد، ص198

المحاضرة السابعة: الأصول المنهجية للمعتزلة.

تعريف المعتزلة: لمعرفة معنى هذه الكلمة؛ لابد أن نعرف ما هو الاعتزال في اللغة.

الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾[79]. أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي. فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون. هذا في اللغة ([80]).

المعتزلة في الاصطلاح: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري ([81]).

أصل تسمية المعتزلة: لقد اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية، وسنعرض أهم الآراء في ذلك:

أن اسم المعتزلة ليس مأخوذا عن فكرة الانفصال عن مذهب أهل السنة والجماعة؛ وبالتالي لم يكن من وضع أهل السنة بقصد الذم أو السخرية من المعتزلة بوصفهم خارجين على مذهب الجماعة الإسلامية ومنشقين عنها. « وإنما اختار المعتزلة الأولون هذا الاسم، أو على الأقل تقبلوه بمعنى «المحايدين » أو « الذين لا ينصرون أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة، والخوارج) على الآخر في

[79] سورة الدخان، الآية: 21
[80] القاموس المحيط، ج 4، ص 15، ولسان العرب، 11ص 440.
[81] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام -الدرر السنية» (3/ 321 بترقيم الشاملة آليا)، و المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق،ص 13

المسألة السياسية الدينية الخطيرة، مسألة « الفاسق » ما حكمه: هل هو كافر مخلد في النار كما يقول الخوارج، أو هو مؤمن يعاقب على الكبيرة بقدرها، أو هو في منزلة بين المنزلتين وهو ما سيقول به المعتزلة.

وكانت هذه المسألة من المسائل الخطيرة في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة بسبب المنازعات السياسية والحروب الأهلية التي بدأت مع الصراع بين علي ومعاوية على الخلافة، فمن الطبيعي أن يكون اسم المعتزلة قد أخذ عن لغة السياسة في ذلك العصر. فكان المعتزلة الجدد المتكلمون في الأصل استمراره، في ميدان الفكر والنظر، للمعتزلة السياسيين أو العمليين ، وهم الذين وقفوا موقف الحياد في النزاع بين أنصار علي ومعاوية ثم بين أنصار ذرية علي والخلفاء الأمويين من بعد.

وكانت الجماعة الأولى من المعتزلة المتكلمين تشمل على وجه الاحتمال أشخاصا اختلفت آراءهم حول بعض المسائل الدينية الأخرى، حتى إنه في القرن الأول وأوائل القرن الثاني كانت بعض المسائل الدينية (مثل الجبر والاختيار غير واضحة المعالم والحدود، ولم يكن من المستطاع القطع بأي الآراء المتعارضة يجب اعتباره من أقوال أهل السنة أو أقوال غيرهم. فلم يكن الإجماع قد تم بعد في هذا الباب بطريقة قطعية.

فكان اسم المعتزلة المتكلمين في الأصل يشير إذا إلى النقطة الوحيدة المميزة لمذهبهم عن مذهب أهل السنة والجماعة. وهذه النقطة قد فقدت أهميتها من بعد انقضاء الحروب الأهلية بالنسبة لمسائل الخلاف الدينية الأخرى، التي رسخت شيئا فشيئا، وطغت على تلك النقطة من جراء رد الفعل المتزايد ضد ثبات مذهب أهل السنة ورسوخه (القدرة، الصفات، خلق القرآن، العقل والنقل). أو بعبارة أخرى: كانت هذه التسمية تسمية جزئية في وقت من الأوقات، مثل التسميات الأخرى التي اتخذها المعتزلة من بعد أحيانا للدلالة على بعض النقط الخاصة في تعاليمهم – دلالة خاصة ومثل « القدرية »، « العدلية »، «الموحدة» مشيرين بذلك إلى مذاهبهم في القدر وفي العدل وفي التوحيد – على الترتيب لعل ذكرى الأصل الحقيقي لاسم المعتزلة قد بدأت تضعف في النصف الثاني من القرن الثاني. وعلى هذا النحو اعتقد الكثيرون، حتى من بين المعتزلة أنفسهم، شيئا فشيئا أن هذا الاسم يدل على أنهم « انشقوا » على أهل السنة والجماعة، وأن هؤلاء هم الذين اخترعوه. وقليل من الكتاب هم الذين أبقوا

على السبب الأصلي في هذه التسمية. وأخيرا نستخلص أنه ليس بصحيح أن المعتزلة كانوا في الأصل فرعا أو استمرارا للقدرية في القرن الأول، وأن نقطة ابتدائهم كانت مذهب الاختيار وحرية الإرادة [82]

فرق المعتزلة:

لابد من الإشارة إلى أن هذه الفرق يجمعها مبادئ وتختلف في مبادئ أخرى:

أولا: ما تتفق فيه: إن المعتزلة بفرقها المتعددة تجمع على أمور يسمونها الأصول الخمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يقول الخياط في كتابه (الانتصار): "فلسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقونا في التوحيد، ويقولون بالجبر، وبشر كثير يوافقونا في التوحيد والعدل، ويخالفونا في الوعد والأسماء والأحكام، لكن ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس، فهو معتزلي.

ثانيا: ما تختلف فيه: إن المعتزلة كغيرها من الفرق – عند نشوئها – قد بدأت محدودة مقتصرة على الأصول الخمسة التي سبق ذكرها آنفا. ولكن سرعان ما تعمق المعتزلة في بحث تلك الأصول، وتوسعوا في شرحها، فنشأ لذلك مسائل فرعية من هذه الأصول ومن غيرها، وأسباب ذلك كثيرة، منها:

[82] عبد الرحمان بدوي، مذاهب الاسلامين، ص38 وينظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، ج3، ص 322 بترقيم الشاملة آليا):

أولا: المبالغة في الاعتماد على العقل، وعدم التقيد بالنصوص من الكتاب والسنة، مما كان له الأثر العظيم في نشوء الخلافات بينهم.

ثانيا: انغماسهم في الفلسفة اليونانية التي أخذوا يدرسونها ويستمدون منها بعض الأفكار ويمزجونها بعقيدة المسلمين. بسبب ذلك دب الخلاف بينهم، وتشعبت آراؤهم واشتد بينهم الحوار والجدل، فانقسموا إلى اثنتين وعشرين فرقة لكل واحدة منها أفكارها وآراؤها الخاصة، وتتبع كل فرقة أحد رؤوس الاعتزال البارزين.

الفرقة الأولى: الواصلية: أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال مولى بني ضبة، ولد سنة (80هـ)، ونشأ على الرق، وتتلمذ على الحسن البصري، ولم يفارقه إلى أن أظهر مقالته في المنزلة بين المنزلتين، وهو مؤسس فرقة الاعتزال، وتوفي سنة (131هـ). وهو الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال. ([83])

الفرقة الثانية: العمروية: أتباع عمرو بن عبيد بن باب، مولى بني تميم، ولد سنة (80هـ)، وتوفي سنة (144هـ)، كان جده من سبي كابل. عاش في البصرة، وعاصر واصل بن عطاء، وكان تربا له، فلما قام واصل بحركته انضم إليه وآزره، فأعجب واصل به، وزوجه أخته وقال: زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة، كذلك كان عمرو معجبا بأستاذه، وقد أصبح شيخ المعتزلة بعد واصل، وشاركه في جميع أقواله. ([84])

الفرقة الثالثة: الهذلية: أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري العلاف، ولد سنة (135هـ)، وتوفي سنة (226، وقيل: سنة 235، وقيل: سنة 237هـ) في خلافة المتوكل عن مائة سنة، مولى عبد القيس، وشيخ المعتزلة البصريين، أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل أحد أصحاب واصل بن عطاء. وقد اطلع على الفلسفة اليونانية فجاءت أقواله متأثرة بها ([85]).

الفرقة الرابعة: النظامية: أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام، سمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، ولد سنة (185هـ)، وتوفي سنة (231هـ)، عاشر في

[83] البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 54. وينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 51.
[84] الشهرستاني، الملل والنحل ،ج، 1 ، ص 52.
[85] موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية» (3/ 379 بترقيم الشاملة آليا). وينظر: ((الفرق بين الفرق)) (121).

شبابه قوما من الثانوية والسمنية القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم اتصل بـ هشام بن الحكم الرافضي فأخذ عنه وعن ملحدة الفلاسفة ([86]).

أصول المعتزلة:

وإذا رجعنا إلى كتب المعتزلة أنفسهم رأيناهم يجمعون على القول بأصول خمسة، ويقع الخلاف بينهم في بعض الأمور الجزئية والفرعية. وهذه الأصول الخمسة هي:

التوحيد.

العدل.

الوعد والوعيد.

المنزلة بين المنزلتين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

على أن الأصلين الرئيسين هما: التوحيد والعدل. ولهذا فإن القاضي عبد الجبار في كتابه «المغني في أصول الدين» جعلهما أصول الدين. ولكنه في «مختصر الحسنى» قال: «إن أصول الدين أربعة: التوحيد والعدل، والنبوات، والشرائع، وجعل ما عدا ذلك من الوعد والوعيد، والأسماء والأحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر –داخلا في الشرائع». ذلك أنه في «المغني» أرجع النبوات والشرائع إلى أصل العدل «لأنه كلام في أنه تعالى إذا علم أن صلاحنا في بعثة الرسل، وأن نتعبد بالشريعة –وجب أن يبعث ونتعبد، ومن العدل ألا يخل بما هو واجب عليه. وكذلك «الوعد والوعيد» داخل في العدل، لأنه كلام في أنه تعالى إذا وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، فلا بد من أن يفعل ولا يخلف في وعده ولا في وعيده. ومن العدل ألا يخلف ولا يكذب. وكذلك «المنزلة بين المنزلتين» داخل في باب العدل، لأنه كلام في أن الله تعالى إذا علم أن صلاحنا في أن يتعبدنا بإجراء أسماء وأحكام على المكلفين وجب أن يتعبدنا به، ومن العدل ألا يخل بالواجب. وكذا الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

[86] البغدادي، الفرق بين الفرق،131. وينظر محمد أبو زهرة، تاريخ الفرق الإسلامية، 187.

وقد تساءل القاضي عبد الجبار عن السبب في الاقتصار على هذه الأصول الخمسة وأجاب بأن قال: لا خلاف أن المخالفين لنا لا يعدون أحد هذه الأصول. ألا ترى أن خلاف الملحدة، والمعطلة، والدهرية، والمشبهة –قد دخل في التوحيد؛ – وخلاف المجبرة بأسرهم داخل في باب العدل؛ — وخلاف المرجئة داخل في باب الوعد والوعيد؛ – وخلاف الخوارج داخل تحت المنزلة بين المنزلتين؛ – وخلاف الإمامية داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [87]

المحاضرة الثامنة: الأصول المنهجية للأشاعرة.

1. تعريف الأشاعرة:

الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب.[88]

2. التأسيس وأبرز الشخصيات:

أبو الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة 270هـ ومرت حياته الفكرية بثلاث مراحل:

. **المرحلة الأولى**: عاش فيها في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته. ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

[87] عبد الرحمان بدوي، مذاهب الاسلامين، 1997، دار العلم للملايين، ص 58 ،59.
[88] عمربن عبد العزيز القرشي ، الأصول الايمانية للفرق،ص274

. **المرحلة الثانية:** ثار فيه على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، أما الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق فتأولها على ما ظن أنها تتفق مع أحكام العقل وهذه هي المرحلة التي ما زال الأشاعرة عليها.

. **المرحلة الثالثة:** إثبات الصفات جميعها لله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تبديل ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي عبّر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، الذي كان حامل لوائه الإمام أحمد بن حنبل. ولم يقتصر على ذلك بل خلّف مكتبة كبيرة في الدفاع عن السنة وشرح العقيدة تقدّر بثمانية وستين مؤلفاً، توفي سنة 324هـ ودفن ببغداد ونودي على جنازته: "اليوم مات ناصر السنة".· بعد وفاة أبو الحسن الأشعري، وعلى يد أئمة المذهب وواضعي أصوله[89]

3. أبرز أئمة المذهب:

. القاضي أبو بكر الباقلاني: (402.328هـ) (1013.950م) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام، هذَّب بحوث الأشعري، وتكلَّم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد من كتبه: إعجاز القرآن، الإنصاف، مناقب الأئمة، دقائق الكلام، الملل والنحل، الاستبصار، تمهيد الأوائل، كشف أسرار الباطنية.

. **أبو إسحاق الشيرازي:** (476.293هـ) (1083.1003م) . وهو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي، العلامة المناظر، ولد في فيروز أباد بفارس وانتقل إلى شيراز، ثم البصرة ومنها إلى بغداد سنة (415هـ) . وظهر نبوغه في الفقه الشافعي وعلم الكلام ، فكان مرجعاً للطلاب ومفتياً للأمة في عصره، وقد اشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة. بنى له الوزير نظام الملك: المدرسة النظامية على

[89]عبد الفتاح أحمد فؤاد، الأصول الإيمانية للفرق، دط،1990، دار المعرفة ، الإسكندرية 139. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج1، ص 84.

شاطئ دجلة، فكان يدرس فيها ويديرها. من مصنفاته: التنبيه والمهذَّب في الفقه، والتبصرة في أصول الشافعية، وطبقات الفقهاء، واللمع في أصول الفقه وشرحه، والملخص، والمعونة في الجدل»[90]

أبو حامد الغزالي: (505.450هـ) (1111.1058م) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد في الطابران، قصبة طوس خراسان وتُوفّي بها. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر ثم عاد إلى بلدته. لم يسلك الغزالي مسلك الباقلاني، بل خالف الأشعري في بعض الآراء وخاصة فيما يتعلق بالمقدمات العقلية في الاستدلال، وذم علم الكلام وبيَّن أن أدلته لا تفيد اليقين كما في كتبه المنقذ من الضلال، وكتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة ، وحرم الخوض فيه فقال: " لو تركنا المداهنة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام ". اتجه نحو التصوف، واعتقد أنه الطريق الوحيد للمعرفة. وعاد في آخر حياته إلى السنة من خلال دراسة صحيح البخاري.

أبو إسحاق الإسفراييني: (ت418هـ) (1027م) وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق عالم بالفقه والأصول وكان يلقب بركن الدين وهو أول من لقب به من الفقهاء. نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له مدرسة عظيمة فدرس فيها، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، فاشتهر في العالم الإسلامي. ألَّف في علم الكلام كتابه الكبير، الذي سماه الجامع في أصول الدين والرد على الملحدين. قال ابن خلكان: رأيته في خمسة مجلدات. توفي أبو إسحاق الإسفراييني في يوم عاشوراء سنة عشرة وأربعمائة بنيسابور ثم نقل إلى إسفرايين ودفن بها وكان قد نيف على الثمانين.

· **إمام الحرمين أبو المعالي الجويني**: (478.419هـ) (1085.1028م) . وهو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي ولد في بلد جوين (من نواحي نيسابور) ثم رحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور فيها أربع سنين، وذهب إلى المدينة المنورة فأفتى ودرّس. ثم عاد إلى نيسابور فبنى له فيها الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء. وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، ودافع فيها عن الأشعرية فشاع ذكره في الآفاق. ومن مصنفاته:

[90] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج1، ص 86.

العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، البرهان في أصول الفقه، ونهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين.

الفخر الرازي (544هـ. 1150م) (606هـ. 1210م) : هو أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين التيمي الطبرستاني الرازي المولد، الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب الفقيه الشافعي قال عنه صاحب وفيات الأعيان " إنه فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام ، والمعقولات " من أشهر كتبه في علم الكلام: أساس التقديس في علم الكلام، شرح قسم الإلهيات من إشارات ابن سينا، واللوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والضلال، كافية العقول.[91]

4. الأفكار والمعتقدات:

مصدر التلقي عند الأشاعرة: الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في أساس التقديس والآمدي وابن فورك وغيرهم. . عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقيني ولا مانع من ([92])

عقيدة الأشعرية: لما كان المذهب الأشعري قد مر بعدة أطوار حتى في حياة مؤسسة فضلا عن التطورات الأخرى الكبيرة التي مر بها هذا المذهب عبر القرون، فإن هناك صعوبة في تحديد العقيدة الأشعرية والصعوبة تأتي من خلال ما يلي:

[91] محمد أبوزهرة،تاريخ المذاهب الإسلامية،ص155.
[92] موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج2، ص 505.

1- هل المعتبر في تحديد المذهب ما يقوله مؤسسة فقط، أم لابد أن يدخل في ذلك ما قاله الأتباع؟ وفي مذهب الأشاعرة كثيرا ما يعرض المتأخرون مذهب الأشاعرة كما طوروه، ثم إذا رد عليهم أو هوجموا ورموا بالابتداع رجعوا يحتجون بأقوال شيخهم الأشعري التي تخالف في كثير منها أقوالهم ومنهجهم.

2- هل المعتبر في المذهب: الأقوال أو الأشخاص؟ أي أن أحد الأعلام إذا عرف عنه أنه أحد أئمة الأشاعرة المنافحين عن مذهبهم، هل تصبح جميع أقواله في إطار التزامه لأصول المذهب مذهبا وعقيدة أشعرية؟ أم أن المعتبر الأقوال الموافقة للمذهب الأشعري فقط؟ وإذا كان فما المقياس في تحديد هذه الأقوال؟ ومن الأمثلة على ذلك أن الفخر الرازي يعتبر من أهم أعلام وأئمة الأشعرية وله في ذلك جهود ومؤلفات كبرى، ومع ذلك فقد دخل في الفلسفة وألف فيها أحيانا كتبا مستقلة، ففي هذه الحالة هل يؤخذ الرازي وكتبه على أنه أشعري أراد موج عقيدة الأشاعرة بالفلسفة، أو تفصل الفلسفة عنده عن العقيدة الأشعرية وتعتمد أقواله الموافقة لها فقط؟

3- الرجوع عن المذهب، كثيرا ما وقع لأعلام الأشاعرة، ومع انتشار الكتب التي تمثل المرحلتين لعلم ما، تصبح نسبة الأقوال إليه غير مستقرة على وضع معين، فالأشعري نفسه هل تعرض أقواله من خلال الإبانة فقط، وما عداها لا قيمة له لأن المفترض أن يكون قد رجع عنه، أو لابد من اعتماد كتبه الأخرى التي شاعت وتلقفها الناس واعتمدوها ... وهكذا بقية أعلا م الأشاعرة.

4- التطور الذي وقع في المذهب الأشعري هل يعتبر الطور الأول أو الثاني أو الثالث، إذا قيل يعتمد ما استقر عليه مذهب الأشاعرة.

هذه أهم الصعوبات في تحديد عقيدة الأشعرية، ومن ثم فقد ترجح أن يكون العرض لها كما يلي:

1- إثبات أن الله موجود واحد، أزلي، وأن العالم حادث.

2- إثبات صفات الله تعالى، دون تفريق بين الخبرية والعقلية، ومن ذلك إثبات صفات السمع والبصر، والحياة، والإرادة، والكلام، والقدرة، والعلم، واليدين والوجه، والعين، والاستواء والنزول، والعلو والمجيء، وغيرها مما هو ثابت في الكتاب أو السنة.

3- أما الصفات الاختيارية فلا يثبتها صفات قائمة بالله تتعلق بمشيئته واختياره، بل إما أن يؤولها أو يثبتها أزلية وذلك خوفا من حلول الحوادث بذات الله.

4-الإيمان بكلام الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لكن الكلام -عنده -أزلي، لا يتعلق بمشيئته وإرادته.

5-إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

6-الإيمان بالقدر، مع القول بالكسب، وأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل

7-الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ومرتكب الكبيرة مؤمن فاسق.

8-وفي الإمامة، والصحابة، وأمور المعاد، وغيرها يقول كما قال أهل السنة.

أما بالنسبة لعقيدة الأشاعرة بعد الأشعري فلا يتم هذا إلا بعد عرض التطور الذي حدث لمذهبهم.[93]

المحاضرة التاسعة: الأصول المنهجية للماتريدية

تعريف الماتريدية: فرقة كلامية تنسب إلى محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي، أبي منصور الحنفي السمرقندي. والماتريدي نسبة إلى (ماتريد) بفتح الميم وسكون الألف وضم التاء الفوقانية المثناة وكسر الراء المهملة وسكون الياء ودال مهملة، وهي محلة من سمرقند، ولم يعرف تاريخ مولده على وجه الدقة، وإن كان المرجح أنه حول عام (238 هـ). وأشهر مؤلفاته: _1 كتاب التوحيد. 2_ تأويلات أهل السنة.[94]

[93] عمر عبد العزيز قريشي، أصول الفرق الإسلامية، دط،2001، صنوان للطباعة، مصر، ص294.
[94] ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (1/ 95): و «مجلة البحوث الإسلامية» (55/ 123):

النشأة والتطور: مرت الماتريدية كفرقة كلامية بعدة مراحل، ولم تُعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، ولذلك فإنه يمكن إجمالها في ثلاث مراحل رئيسية كالتالي:

أولا: النشأة: نشأت فرقة الماتريدية على يد أبي منصور الماتريدي والذي تنسب إليه كما تقدم، ولم يكن هناك من أصل لهذه التسمية قبل الماتريدي، ولا نعرف هل ظهرت هذه النسبة إليه في حياته أم بعد وفاته؟ وقد تأثر الماتريدي ولا شك بالحنفية من الجهمية والمعتزلة والمرجئة أكثر مما تأثر بالحنفية السنية السلفية، فجنى عليه هؤلاء، فيما أثر هو في أتباعه الماتريدية، وجنى عليهم كذلك.

ويبدو أن لا وجود للماتريدية بصورة فرقة إلا بعد وفاة إمامهم الماتريدي؛ لأن الفرقة تتكون من مجموعة تلامذته. وقد أثر الماتريدي في الحنفية في سمرقند تأثيرا بالغا، حتى أصبح غالب الحنفية من الماتريدية.

ثانيا: التطور: لقد مرت الماتريدية بعدة أدوار تاريخية أهمها ما يلي:

دور التأسيس ووضع الأصل: وهذا كان مرتبطا بحياة الماتريدي ما بين عامي (238-333 هـ)، وقد تميز هذا الدور بكثرة المساجلات بين الماتريدي وبين المعتزلة.

دور التكوين: وقد ارتبط هذا الدور بتلاميذ الماتريدي، ويمتد منذ وفاة الماتريدي إلى نحو عام (400 هـ)، حيث انتشر تلاميذ الماتريدي، وبدأوا في نشر كلامه وأفكاره والانتصار لها والدفاع عنها وهو دور تلامذة الماتريدي ومن تأثر به بعده وتلامذة تلامذته، ويمتاز هذا الدور بأنه تكونت فيه فرقة كلامية ماتريدية وظهرت على وجه الأرض كما يمتاز بوجود تلامذة الماتريدي الذين نشروا أفكار شيخهم وإمامهم والدفاع عنه، ومن بين تلامذة الماتريدي وتأليفاتهم الكلامية نذكر:

دور بزدوي (400 – 500هـ) وهذا الدور تمديد لسابقه بالنشر والتأليف، ومن أهم شخصيات هذا الدور " أبو اليسر البزدوي (493هـ) أخو " فخر الإسلام " (482هـ).

دور نسفي (500 – 700هـ) وهذا الدور كاسمه نسف العقيدة السلفية في الصفات نسفا أكثر من سابقه وامتاز بكثرة التأليف، وجمع الأدلة للعقيدة الماتريدية.

ومن أهم أعيان هذا الدور أبو المعين النسفي (508هـ)، ونجم الدين عمر النسفي (537هـ)، وحافظ الدين عبد الله النسفي (710هـ) وهو أكبر أدوار العقيدة الماتريدية السابقة[95]

[95] على عبد الفتاح المغربي ،الفرق الإسلامية مدخل ودراسة ،ط2، 1995مكتبة وهبة ، القاهرة ،ص330. و مجلة البحوث الإسلامية55/ 129):

ثالثا: دور الانتشار: وقد ارتبط ذلك بظهور أشخاص أكثروا من التأليف والكتابة عن الماتريدي وأفكاره وأصوله والانتصار لها، ويمكن اعتبار هذا الدور ممتدا ما بين عام 400هـ حتى يومنا هذا، وقد ظهر فيه أمثال أبي اليسر البزدوي (493هـ)، وازداد انتشارها على يد أبي المعين النسفي (508هـ)، ونجم الدين عمر النسفي (537هـ)، وحافظ الدين عبد الله النسفي (710هـ). وهذا الدور كان من أهم أدوار الماتريدية، وشهد مناظرات بين الماتريدية والأشعرية [96]

الأصول والمبادئ:

1 -لا يرى الماتريدي مسوغا للتقليد، بل ذمه وأورد الأدلة العقلية والشرعية على فساده وعلى وجوب النظر والاستدلال.[97]

2 -يذهب في نظرية المعرفة إلى لزوم النظر والاستدلال، وأنه لا سبيل إلى العلم إلا بالنظر، وهو قريب من آراء المعتزلة والفلاسفة في هذا، ثم يذكر أدلة كثيرة على وجود الله، مستخدما أدلة المعتزلة والفلاسفة في حدوث الأجسام وأنها دليل على وجود الله.[98]

3 -يوافق في الاعتقاد في أسماء الله السلف، ويرى أن أسماء الله توقيفية، فلا نطلق على الله أي اسم إلا ما جاء به السمع، إلا أنه يؤخذ على الماتريدية أنهم لم يفرقوا بين باب الإخبار عن الله وبين باب التسمية فأدخلوا في أسمائه ما ليس منها كالصانع والقديم والشيء، والسلف يخالفونهم في هذا وقد عطل الماتريدية كثير من أسماء الله تعالى وأولوها.

4 -يرى أن المؤمنين يرون ربهم والكفار لا يرونه، ويخالف الأشعري هنا في أن الماتريدي يرى أن الأدلة على إمكان رؤية الله تعالى عقلا غير ممكنة، بينما يستدل عليها أبو الحسن الأشعري بالعقل، إلا أنهم خالفوا السلف فنفوا المقابلة والجهة مطلقا، وذلك بسبب نفيهم عن الله علو الذات كما أن إثباتهم للرؤية ونفي الجهة والمقابلة فيه تناقض فإن الله تعالى يرى في جهة العلو.

5 -هو أقرب ما يكون إلى السلف في سائر الصفات، فهو يثبت الاستواء على العرش وبقية الصفات دون تأويل لها ولا تشبيه، أي في الصفات التي تثبت عند الماتريدية بالعقل لكنهم يؤولون ما عداها، كما أنهم يعتقدون أن صفات الله لا هي هو ولا غيره وهو تناقض منهم.

---

[96] عبد الفتاح أحمد فؤاد ،الأصول الإيمانية للفرق،دط،1990 ،دار المعرفة ، الإسكندرية، ص73.
[97] الماتريدي، التوحيد، ص14
[98] عبد الفتاح أحمد فؤاد ،الأصول الايمانية للفرق،ص74

6 –في القضاء والقدر هو وسط بين الجبر والاختيار، فالإنسان فاعل مختار على الحقيقة لما يفعله ومكتسب له وهو خلق لله، حيث يخلق للإنسان عندما يريد الفعل قدرة يتم بها، ومن هنا يستحق الإنسان المدح أو الذم على هذا القصد، وهذه القدرة يقسمها إلى قسمين:

قدرة ممكنة: وهي ما يسميها: لسلامة الآلات وصحة الأسباب.

وقدرة ميسرة، زائدة على القدرة الممكنة: وهي التي يقدر الإنسان بها على الفعل المكلف به مع يسر، تفضلا من الله تعالى. يقول الماتريدي بخلق أفعال العباد، وهو يفرق بين تقدير المعاصي والشرور والقضاء بها وبين فعل المعاصي، فالأول من الله والثاني من العبد بقدرته واختياره وقصده. ويمنع أبو منصور من إضافة الشر إلى الله فلا يقال: رب في الأوراث والخبائث ولو أنه خالق كل شيء، وهذا الشق الأخير معروف عن السلف، أما تقسيمه القدرة وجعل العبد فاعلا باختياره وقصده وقدرته من وجه، ولو كان الله هو الفاعل من وجه آخر، فيه حيد عن مذهب السلف في ذلك، ونسبة الماتريدية الفعل إلى العبد يقصدون به أن الله لا يخلق فعل العبد إلا بعبد أن يريده العبد ويختاره فيصبح ذلك العمل كسبا له يجازي به حسب اختياره له وإرادته المستقلة له.

فى مسائل الإيمان: لا يقول بالمنزلة بين المنزلتين، ولا يقول بخروج مرتكب الكبيرة عن الإسلام. ويرى أن الإيمان هو التصديق بالقلب، دون الإقرار باللسان، ومن هنا يفترق الماتريدي عن السلف. وعنده لا يجوز الاستثناء في الإيمان، لأن الاستثناء يستعمل في موضع الشكوك والظنون. وهو كفر، وأهل السنة قالوا بجواز الاستثناء في الإيمان لأنه يقع على الأعمال لا على أصل الإيمان أو الشك في وجود الإيمان.[99]

[99] أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي ،الماتريدية دراسة وتقويما ،ط 1 ، 1413 ،دار العاصمة،، ص 123،124 و فرق معاصرة لغالب عواجي 3/ 1228 - 1230». وينظر: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية» (2/ 209 بترقيم الشاملة آليا):

المحاضرة العاشرة: الأصول المنهجية للإباضية

تعريف فرقة الإباضية: تنسب الإباضية إلى عبد الله بن أباض بن تيم اللات بن ثعلبة رهط الأحنف بن قيس التيمي .وهو من طبقة التابعين عاصر معاوية بن أبي سفيان، وأدرك عبد الملك ابن مروان .فنسبة الإباضية إلى عبد الله بن أباض من الأمور التي لا يختلف عليها الإباضيون ولا غيرهم من أصحاب المقالات الأخرى باستثناء قلة قليلة من المؤرخين لا يعتد بها [1] وأول من أطلق عليهم اسم الإباضية

[1] حسن محمد علي، الإباضية نشأتها وعقائدها .ط 1، 2011، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ص57 - 56

الإباضية هم الخلفاء الأمويون في زمن عبد الملك ابن مروان، نسبهم الأمويون إلى عبد الله بن أباض 1

فرق الاباضية: انقسمت الإباضية إلى فرق، منها ما يعترف به سائر الإباضية، ومنها ما ينكرونها ويشنعون على من ينسبها إليهم، ومن تلك الفرق ما يلي:

أولا: الفرق الاباضية عند أصحاب المقالات: من أهم الفرق الإباضية عند أصحاب المقالات ما يلي:

1-**الحفصية:** أتباع حفص بن أبي المقدام.

2-**اليزيدية:** أتباع يزيد بن أنيسة.

3-**الحارثية:** أتباع حارث بن يزيد الإباضي.

4-**أصحاب طاعة لا يراد بها الله:** هؤلاء هم علي مذهب ابي الهذيل و اتباعه من القدرية (2).

ثانيا: الفرق الاباضية عند كتاب الإباضية

لقد أحصى كتاب الإباضية أهم الفرق التي لها علاقة بالمذهب الإباضي وهي ستة فرق: النكارية والنفاثية والخلفية والحسنية والسكاكية والفرثية.

النكارية: سموا بذلك لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم والذين أيدوه سمو الوهابية

النفاثية: ظهرت هذه الفرقة علي يد فرجا النفوسي المعروف بنفاث بن نصر حينما أعلن مخالفته للإمام أفلح بن عبدالوهاب

الخلفية: يرأسها خلف بن الإمام أبي الخطاب المعافري3

الحسنية: ظهرت في القرن الثالث الهجري علي يد أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.

[1] دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير،2010 ج 2 ، ا ، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر . ص.363
[2] مقالات الأشعري 1، ص 183، الفرق بين الفرق للبغدادي، ص 105، 279
[3] طعمة، الإباضية عقيدة ومذهبا، ص60

السكاكية: وهذه الفرقة تنسب إلي عبد الله السكاكي اللواتي 1

الفرثية: تنسب هذه الفرقة أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح2

الأصول العقائدية للإباضية:

التوحيد :يعبر الإباضية عن التوحيد بمصطلح" جملة التوحيد"نظرا لتعبيرها عن كليات الإيمان، حيث تندرج تحتها مدلولات جزئياته.3وهو ما يوضحه محمد بن يوسف اطفيّش :متى أتى العبد بجملة التّوحيد كاملةً فقد تمّ التّوحيد، وخرج مِن الشّرك .وهذه الجملة هي شهادة أنّ لا إله الله وأنّ محمدًا رسول الله صل الله عليه وسلم، وأنّ ما جاء مِ ن عند ربّه هو الحق، والإيمان بجملة الملائكة والأنبياء والرّسل وجملة الكتب التي أنزلها على رسله، والإيمان بأنّ الموت حقّ .وأنّ النار حقّ، والإيمان بالقضاء والقدر .فمن أقرّ بهذه الأمور التي كان يدعو إليها رسول الله صل الله عليه وسلم فقد تمّ إيمانه فيما بينه وبين الله. ويؤكّد الإباضيّة على أنّ التّوحيد من المسائل الرئيسيّة التي لا يجوز أنْ يجهلها العبد متى بلغ وأصبح مكلّفاً يقول الجناوي الإباضي في كتاب الوضع" :إنّ علم ما لا يسع النّاس جهله طرفة عين هو علم التّوحيد والشّرك فلا يسع جهلها لأنّ مَن جهل الشّرك لم يعلم التّوحيد، فوجبت معرفة التّوحيد والشّرك مع أوّل البلوغ.4

الإيمان والإسلام: قسم الإيمان على وجهين :توحيد وغير توحيد، والإيمان والإسلام في نظر الإباضية لفظان مترادفان بمعنى واحد، وهو جميع ما أمر الله به، يقول في سورة الذاريات﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ فأهملوا بذلك الدلالات اللغوية بين كل منهما، إذ في اللغة الإيمان هو التصديق، والإسلام هو الاستسلام والانقياد .ولكن الإباضية يقولون : إن المعنى الشرعي للإيمان هو الوفاء بالدين .فالعمل وفعل الواجبات هو الدين. وعليه فالإيمان هو المعرفة والاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح .وأن المؤمن هو الموفى بدين الله تعالى . وكذا لا يكون مسلما حتى يقر بالتوحيد ويعمل بالفرائض لأن الإسلام لا يتم إلا بقول وعمل .5

[1] علي يحيي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ط4، 2001، دار الحكمة، ص289.
[2] علي يحيي معمر، نفس المصدر، ص289.
[3] طعيمة، الإباضية عقيدة ومنهجا، ص 88
[4] محمد بن يوسف اطفيّش :الذهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان، د ط، د ت، ص88
[5] حسن محمد مهدي، الإباضية نشأتها وعقائدها، ص214 - 211

صفات الله تعالى: الإباضية أولوا الكلمات الموهمة للتشبيه بما يؤدي المعنى ولا ينافي كمال الله فقالوا عن العين أنها العلم والحفظ، وقالوا عن اليد أنها النعمة والقدرة ، وهكذا في جميع ما ورد في القرآن أو السنة النبوية الثابتة".1

وأمثلة ذلك ما ورد في الجامع الصحيح أن(الربيع، د.ت :ص":) 239 - 238 جابر بن زيد قال

سئل ابن عباس عن قوله تعالى :عَرْشِ"2 فقال :ارتفع ذكره وثناؤه على خلقه لا على ما قال المنددون أن له أشباها وأندادا تعالى الله على ذلك .واستوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه". فاستواء الله على العرش يجب تأويله تأويلا مجازيا هذا وقد نتج عن تجريد الإباضية الذات الإلهية عن الصفات أن نفوا عنه أقسام الصفات التي ذهبوا إلى تقسيمها .فنفوا عنه تعالى الوجه والعين واليد واليمين والدنو والتجلية والنزول والاستواء، متأولين في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معتقدين أن ما ورد من صفات خبرية في القرآن والسنة لا يقصد منه ظاهر اللفظ3

نفي الرؤية في الدنيا والآخرة: احتدم النّقاش بين المسلمين حول جواز رؤية الله أو استحالتها، وكان موقف الإباضيّة مع النّافين لرؤيته تعالى استناداً إلى أدلّة منها:

لا تقول الإباضيّة برؤية الله لا في الدّنيا ولا في الآخرة، مُستندين إلى رواية محمد بن الشيباني التي يرويها الرّبيع بن حبيب في مسنده" :روى محمد بن الشيباني أنَّ النبي سُئل هل ترى ربّك فقال : "(سبحان الله وأنّى أراه)4 .ومِن الأحاديث التي استندوا عليها في ذلك ما أخرجه الإمام الربيع في مسنده، والشيخان في صحيحهما عن مسروق قال" :كنت متّكئاً عند عائشة فقالت :يا أبا عائشة ثلاث مَن تكلّم بواحدة منهن فقد أعظم علَى الله الفريّة" .مَن زعم أنّ محمدا أرى ربّه فقد أعظم على الله الفريّة"، قال :وكنت متّكئاً فجلستُ وقلتُ : يا أمّ المؤمنين أُنظريني ولاتَعجليني، ألم يقل الله وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله فقال :إنمّا هو جبريل لم أرَه في صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرّتيْن، أ ريته مُنهبطاً مِ ن السّماء

[1] يحي معمر،الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 439
[2] سورة الحديد :الآية. 04
[3] طعمية، الإباضية عقيدة ومنهجا،ص96
[4] الربيع بن حبيب :مسند الإمام الربيع بن حبيب، مصدر سابق، باب ما جاء عن ابن عباس في النظر، رقم-101، ج3 ، ص441 ..

سادّاً عَظْم خلقه ما بين السماء والأرض .فقالت :أوَلَمْ تسمع أنَّ الله يقول :لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ.

وقد أخرج الإمام الرّبيع عن عليّ وابن عباس أنّهما استدلاَّ على نفي رؤية الله بهذه الآية الكريمة.

يقول السّالمي وهو مِن كبار الإباضيّة" :وجه الاستدلال بهذا الحديث – حديث عائشة–هو أنَّ مقالة عائشة هذه صريحة ممّن قال بذلك، لأنَّ عظم الفريّة علَى الله فسق اتّفاقاً، ويلزم القائل :إمَّا كذَّب القول بأنَّ محمد رأى ربَّه، وامَّا تضليل عائشة حيث فَسقَّتْ قائلاً بصدق على صدقه، ولا محلّ للاجتهاد هنا لأنّه ليس للمجتهد أن يفسق من خالفه في اجتهاده إذا كان محلّ الاجتهاد ضنّياً [1]

مرتكب الكبيرة والوعد والوعيد :

يوضح الجويني ذلك في قوله: ذهبت الخوارج إلى أن من قارف ذنبا واحدا ولم يوفق للتوبة حبط عمله ومات مستوجبا للخلود في إذا اجترم ذنبا واحدا، وصارتً العذاب الأليم .وصاروا إلى أنه يتصف بكونه كافرا الإباضية منهم إلى أنه يتصف بالكفر المأخوذ من كفران النعم ولا يتصف بالكفر الذي هو الشرك."[2]

الوعد والوعيد: ويدين الإباضية بأن الله صادق في وعده ووعيده وبخلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، كما تشير إلى ذلك نصائح سير علماء عمان ، فتيقظوا وتفهموا لدينكم فتعلموا ولا تكونوا كالذين منوا أنفسهم الأماني الكاذبة والروايات الضالة وادعوا لأنفسهم الجنة على المعاصي، وقد نهاهم الله عن ذلك، وقد زعموا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تخلد في النار وأنه يأتي وقت تصفق أبوابها ليس فيها موحد."[3]

خلق القرآن: اقترنت مسألة خلق القرآن بتاريخ المعتزلة أثاروها في العصر العباس ي، وبرأيهم حاول الخليفة العباس ي حمل الفقهاء المحدثين على القول بها .ونزل ببعض أولئك الفقهاء ما نزل من شدائد .وقد شغلت أفكار الناس في عصور ثلاثة من خلفاء بني عباس :المأمون المعتصم والواثق .

[1] مصطفى بن محمد بن ادريسو :الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم :وينتن مصطفى بن النّاصر ، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع،السّيب، سلطنة عُمان، د ط، 4083 م.،ص319.
[2] الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ط 1 ،.2009، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ص 298 .
[3] حسن، الاباضية تاريخها عقائدها ، ص220 ،

وقالوا إن الكلام مخلوق لله سبحانه وتعالى، وأن القرآن مخلوق لله سبحانه وتعالى وعلى هذا الأساس فالقرآن مخلوق لله.[1] وعلماء الإباضية بالمغرب يقولون بخلق القرآن كأبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، وأبي عمار عبد الكافي ،هذا الأخير وصف القرآن بقوله" :شيء من الأشياء، ولأنه كائن بعد أن لم يكن ودال على وحدانية الله ووجوده كسائر الأشياء الدالة عليه، وعلى ذلك فهو مخلوق محدث .[2]

الشفاعة :معتقد الإباضية في مسألة شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مقصورة على التقي من المكلفين ولا شفاعة لغيره من الأشقياء، فمن قال إن الشفاعة من النبي لجميع المذنبين يقال له :إن الشفاعة من النبي لا تكون للمذنب الغوي ولا ينالها المجرم الشقي، وإنما يدركها الصالح البر الراضي ودليلهم في ذلك جاء التأكيد على ذلك في مسند الربيع (الربيع، د.ت :ص" :) ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي، لأن الله قد أوعد أهل الكبائر النار." وتعتقد الإباضية أن الشفاعة تقع في المحشر قبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.[3]

المحاضرة الحادي عشر:الأصول المنهجية للفرق الإسلامية المعاصرة البابية والقاديانية

1. البابية

[1] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص 142 - 141
[2] عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي .ج1 ، 2013 الجزائر، موفم للنشر، ص 146
[3] طعيمة، الاباضية عقيدة ومذهبا، ص126

التعريف بالبابية.

فرق انبثقت من الشيعة الاثني عشرية (الرافضة) ، فهي حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة 126هـ/1844م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وموطنها الأول إيران وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها والذي لقب نفسه بالباب وسميت بالبهائية نسبة لزعيمها الثاني والذي لقب نفسه بهاء الله،وقد ادعى كل من الباب والبهاء النبوة والرسالة ثم زعم كل واحد منهما أن الله قد حل فيه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[1].

معنى الباب : جاء في دائرة المعارف الإسلامية مادة باب أنه «مصطلح أطلقه أنصار مذهب الشيعة في عهدها الأول على المريد الأكبر المفوض من الإمام، وتردد كتب السيرة الخاصة بأئمة الشيعة الاثني عشرية أسماء أبواب الأئمة، وكان الباب مرتبة في الطبقات الروحية عند طائفة الإسماعيلية. ويأتي الباب في المرتبة الثانية بعد الإمام، ومنه يتلقى التعاليم مباشرة، وهو بدوره يهدى الحجج الذين يقودون الدعوة، ولذلك يبدو أن المصطلح يدل على رأس القائمين بالدعوة، ويرادف في مصطلح الإسماعيلية «داعي الدعاة» الذي يتردد في كتب التاريخ العامة، ولكن قلما يظهر في نصوص الإسماعيلي» [2]

وكلمة الباب في الاصطلاح الشيعى: «الشخص الذي يكون واسطة بين الشيعة الإمامية، وإمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكرى ولما كان من تقاليد الشيعة أن الشخص الممتاز الذي يكون واسطة بين المهدي الغائب وبين شيعته يسمى «الباب» فقد زين لعلى الشيرازي ادعاء هذا اللقب شخص ينتمي لهذه النحلة وهو البشروني وكان أقرب الرجال إلى

([1]) ناصر القفاري وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة،ط1 ،1992 م،دار الاصمعي، ص156.

[2] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس ، ص499.

«الباب» حيث وجد في الباب الطريق إلى المجد ، فما زال به حتى أقنعه أنه المهدي المنتظر الذي ينتظره العالم ليملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا » ([1]).

والبابية نحلة باطلة تنسب إلى الشيرازي الذي سمى بالباب ثم أطلق على نفسه النقطة، وتطور الأمر حتى أطلق على نفسه وزعم أنه خالق الحق. والحقيقة أن الشيرازي بعد أن أقنع نفسه وأقنع من حوله بأنه الباب، المعصوم، التي «للإمام المستور الذي يعد المصدر الأعلى لكل حقيقة وهداية ، وسرعان ما جال في روعه أنه أكبر من أن يكون أداة الإمام الوقت الذي يحيا ليعلم الناس ويهديهم رغم اختفائه عن الأنظار ، وقد رفع الله قدره على إمام الوقت اقتصاد) في مراحل التطور الروحي ، واختصارا لمراتب الهداية ، فاعتقد أنه المهدي الجديد إذ لابد من ظهوره على وجه التحقيق حوالى نهاية الألف الأول من السنين بعد ظهور الإمام الثاني عشر ولكنه لايلى مرتبة المهدية وفقا لنظرية الشيعة في ظهور المهدي ، فإن عند الباب أن المهدي ينبغي أن يكون مظهرا من مظاهر العقل الكوني أي أن يكون محل ظهوره ، وهو في هذا يتابع مبادئ فرقة الإسماعيلية من غلاة الشيعة . كما أنه هو أرفع مراتب الحقيقة التي حلت في شخصه حلولا جثمانيا، وقد اختلفت في شكلها الظاهرى فحسب مع المظاهر السابقة لهذه المادة الروحانية المنبعثة من الله تعالى، ولكنها في حقيقتها وجوهرها تتماثل معها تماما، فموسى وعيسى اتخذا من شخصية الباب سبيلا إلى العودة إلى الدنيا، كما تجسد في شخصه غيرهما من الأنبياء الذين تجلى العقل الكلى الإلهي في صورهم الجسمانية منذ أقدم العصور والأحقاب .. وأعلن أن هذا التجلي للروح الإلهي الذي تجسد في شخصه لهداية أهل عصره، سوف يتجدد في المستقبل» ([2]).

التأسيس:

[1]نصير آمنة ،أضواء وحقائق على البابية ، البهائية ، القاديانية ،1984 طبعة الشروق ، مصر ، ص 12.

[2]جولد تسهير ،العتيدة والشريعة في الإسلام ،1947 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة، ص 241.

مؤسس هذا المذهب رجل من فارس اسمه الميرزا علي محمد الشيرازي، ولد سنة 1330 هـ، وتوفي والده وهو صغير، فكفله خاله وعلمه مبادئ الفارسية والعربية وحسن الخط، واشتغل لأول مرة بالتجارة، و في سن العشرين أخذ يكثر من الرياضة والعبادة، فخاف خاله على صحته فأرسله إلى العراق، وقضى أشهر) في كربلاء والنجف، اجتمع خلالها إلى علماء الشيعة، وخرج من العراق بأفكار تخالف ما عرفه الناس من الإسلام، وأخذ يبث دعوته فمال إليه جماعة، وحج في تلك الأيام. وكان يقول: ادخلوا البيوت من أبوابها «أنا مدينة العلم وعلي بابها، يشير إلى أنه واسطة السعادة الأبدية، ثم دعا نفسه «الباب، ومعنى الباب عند الشيعة نائب المهدي المنتظر، وتخلى عن اسمه. وبعد مدة أرسل إلى بوشهر ومنها أرسل دعاته إلى شيراز واصفهان يبثون دعوته. فعقد والي شيراز لهم مجالس المناظرة مع الفقهاء ، فأفت هؤلاء بكفر البابية ووجوب قتلهم .[1]

تعاليم البابية: من تعاليم الباب

- تحريم الكتب المنزلة قبله ونسخ القرآن وأحكامه.
- أنه قضى بهدم المزارات حتى الكعبة وقبر الرسول. وفرض بناء 19 مزارة بإسمه. ومن دخلها كان آمنا و أبطل الحج وقسم السنة الى19 شهرة وجعل الشهر الواحد19 يوما ، فأيام السنة عنده 241 ، و أضاف إليها خمسة أيام سماها المسروقة أو رمز عنها جرف (هـ) .
- وجعل أول يوم شهر فروردين ماه الفارسي الموافق للحادي والعشرين من شهر مارس الافرنجي الغربي الذي هو يوم الاعتدال الربيعي و هو يوم عيد النوروز عند الفرس عيدة للفطر ، وخصه بنفسه وسماه عبد رضوان .

[1] محب الدين الخطيب وأخرون، دراسات عن البابية والبهائية، دط ،دت ،مطابع رابطة العام الإسلامي،ص31

- وجمل الصوم 19 يوما من شروق الشمس إلى غروبها وخصص الأيام الخمسة المذكورة للهو والطرب قبل دخول شهر الصيام.
- والمطهرات عنده خمسة : النار والهواء والماء والتراب و كتاب الله (أي البيان كتابه). و كيفية التطهير بالبيان أن يتلى ما تيسر من اسم النقطة أي الباب مع تلاوة آية التطهير 16 مرة على كل شيء نجس .
- وجعل الدم وروث البهائم وغيرها طاهرة. وللباب وخليفته بهاء الله عدة رسائل وكتب، منها ما كتباه بالفارسية ومنها بالعربية. من أهمها من قلم الباب كتابه البيان وفيه شريعته وتعاليمه. ومن أهم كتب بهاء الله كتاب أقدس نهج فيه منهج القرآن في ترتيب الآيات والسور ودون فيه شريعته وأحكامها باللغة العربية. وقد أدخل البهاء عدة إصلاحات على مذهب [1]

الباب اقتضته الحال ذلك. وبعضهم يطلق على أهل هذا المذهب اسم البابية نسبة للمؤسس الأول وبعضهم يلقبهم بالبهائية نسبة البهاء الله الذي زاد في المذهب ونقص منه، وهم يسمون أنفسهم أهل البيان.

عقائد البابية :

الالوهية: ويزعم الباب أنه المرآة التي يستطيع المؤمنون من خلالها أن يشاهدوا الله نفسه ، فهو كما يقول مرآة لايرى فيها إلا الله حيث يقول عن نفسه « أنا قيوم الأسماء ، مضى من ظهورى ما مضى ، وصبرت حتى يمحص الكل ، ولايبقى إلا وجهي ، واعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فانه لايرى في إلا الله ([2]) يعتقد الباب في أن أرفع مراتب الحقيقة الإلهية حلت في شخصه حلولا ماديا وجسمانيا ([3])

[1] عامر النجار، البهائية وجذورها البابية، ط1، 1996، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية القاهرة،ص42،45.
[2] إحسان إلهي ظهير، البابية، ط2 ،1981، إدارة ترجمان السنة، لاهور ، باكستان ،ص170
[3] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ج3 ، دار العلم للملايين ،ص195

النبوة:. ويعتقد البابية أنه جوهر وحقيقة كل نبى رسول وأنه أكمل من ظهرت فيه الحقيقة الإلهية يقول الباب في ذلك عن نفسه « كنت في يوم نوح نواحا ، وفي يوم ابراهيم ابراهيم ، وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى وفي يوم محمد محمدا ، وفي يوم على قبل نبيل » (ومن المعروف : الشيعة تسمى محمدا ع ب نبيل ، فيكون معنى على قبل نبيل أى على قبل محمد) ولأكونن في يوم من يظهره الله من يظهره الله وفي يوم من يظهره من بعد من يظهر الله من بعد من يظهره الله إلى آخر الذي لا آخر له قبل أول الذي لا أول له . كنت في كل ظهور حجة الله على العالمين ([1])

النسخ: ويزعم الباب أنه جاء ناسخا لكل الشرائع والشريعة القرآن الكريم «ويقرر أن كل من كان يدين بها ، ويعمل بأحكامها ، فهو على الحق حتى ليلة القيامة ، ويوم الساعة أي ليلة نيامه بالدعوة وساعة ظهوره بالأمر ، وهي الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة لغروب شمس اليوم الرابع من جمادى الأولى سنة 1290 من الهجرة ، ودخول دجى الليلة الخامسة من لياليه ، فكل من لا يؤمن به من هذا الحين ، ولايعمل بشريعته وأحكامها ، فهو كافر ، جاحد ، مهدور الدم » ([2]).

موقف الباب من السمعيات: يزعم الباب أن المراد من كل ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ : القيامة ، والساعة، والبعث ، والحشر ، والنشر ، وما جرى مجراها إنما هو ظهوره بالأمر ، وقيامه بالدعوة ، وإن الجنة ، كناية عن الدخول في دينه ، والنار ، كناية عن الكفر به . واليوم الآخر، كناية عن يوم ظهوره، ولقاء الله تعالى ، كناية عن لقائه ، والنفخ في الصور ، كناية عن الجهر بدعوته والمناداة بها ، وصعق من في السموات والأرض ، كناية عن نسخ الأديان بدينه وقيام أمته مقام الأمم . وهذا هو عين ما يقوله البهاء صاحب البهائية عن نفسه ودينه ([3]).

2. القاديانية

[1] إحسان إلهي ظهير، مصدر سابق،ص341
[2] محب الدين الخطيب وأخرون، دراسات عن البابية والبهائية، دط ،دت ،مطابع رابطة العام الإسلامي،ص31
[3] إحسان الهي ظهير ،البابية ،ص235

تعريف القاديانية: القاديانية مذهب ديني ظهر أواخر القرن التاسع عشر(19) في قرية قاديان إحدى قرى بنجاب الهندية، وتأسس على يد " أحمد القادياني" الذي بدأ بالدعوة إلى الإسلام، وعندما تنامى عدد أتباعه أضفى على نفسه القداسة، وقال أن لديه القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بأحداث المستقبل. وفي الفترة اللاحقة من تاريخ هذا المذهب زعم "رشيد أحمد القادياني" أنه المسيح الموعود الذي بعثه الله من جديد لتخليص العالم من آلامه وشروره، ليعلن في عام 1900 النبؤة المستقلة، كما أنشا قاديان مسجدا جعله قبلة للحجيج بدلا من الحج إلى مكة[1].بحيث تتميز القاديانية بين الحركات المعادية للإسلام التي نشأت بين الحين والآخر بميزة انفردت بها وهي أن الحركات المعادية الأخرى كانت ولا تزال تستهدف نظام الحكم في الإسلام أو الشريعة الإسلامية، بينما تهدف القاديانية صميم روح الإسلام، وهي بهذا مؤامرة ضد النبوة المحمدية وثورة وغزو على حدود [2].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩-١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفية للاستعمار مطيعة له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. و كان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفا عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمر تستري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفره، وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفة أكثر من خمسين

([1])رئاسة التحرير: "الأزهر يحظر كتابا لزعيم القاديانية"، الأحداث، العدد1275، 18 جويلية 2006، ص17.

(1) عبد المجيد الغوري، القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي، (بيروت، دار ابن كثير، 2000، ط1)، ص75.

كتاب و نشرة ومقالا، ومن أهم كتبه: إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تحليات إلهية.

- نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: فصل الخطاب. الإسلام، والدين الإسلامي.
- أما الخوجة كمال الدين فله كتاب المثل الأعلى في الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعتبران حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية و بالعكس.
- محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو منظر القاديانية وجاسوس الاستعمار والقائم على المحلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام على ما تقدم.
- محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: خاتم النبيين. بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته سيرة المهدي، كلمة الفصل.
- محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة.

كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركز عالمية لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية [1] ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[2]

[1] محمود بن أسماعيل العقيل، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة ،ص149 ، و الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص392 وما بعدها.

[2] سورة المؤمنون ،الاية 50

1. أسباب انتشار القاديانية.

إن البشر ليسوا على درجة واحدة من الفهم والذكاء، ولا قوة الإيمان وضعفه، بل هم أصناف وأشكال: منهم الخامل، ومنهم المخادع، ومنهم من يحب المسكنة والذلة، ومنهم من يحب الرياسة والسلطة والشهرة، ولهذا فكل صائح يجد له صدى، وكل داع يجد له أتباعاً، مهما كانت دعوته خيرة أو شريرة؛ الخيرة يقبلها أهل الخير، والشريرة يتلقفها أهل الشر، والتافهة يتقبلها التافه من الناس وضعاف النفوس، و القادياني ودعوته التافهة وجد لها من يتقبلها. والذي يهمنا هنا هو نظرة سريعة في الأسباب التي ساعدت على انتشار القاديانية، ويمكن أن نوجز عناصر تلك الأسباب في الأمور التالية [1]:

- ❖ جهل كثير من الناس بحقيقة الدين الذي ارتضاه الله، فأكثرهم مسلم بالتبعية والتقليد يتأثرون بكل دعوة ويقلدون كل صائح.
- ❖ وقوف الاستعمار إلى جانب هذه الدعوة الخبيثة وتأييده لها مادياً ومعنوياً لإدراكهم نتائجها في تحقيق أطماعهم في العالم الإسلامي.
- ❖ احتضان الحكومة الإنجليزية هذا المذهب وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارة الشركات والمفوضيات وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.
- ❖ استغلال القاديانيين لفقراء بعض المسلمين، بمساعدتهم المادية ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات، وتوزيع الكتب وإيجاد بعض الوظائف وغير ذلك.
- ❖ نشاط القاديانيين وذهابهم إلى الأماكن النائية من بلدان المسلمين التي يكثر فيها الجهل والعامية.
- ❖ تمويه القاديانيين على السذج من المسلمين، بأن القاديانية والإسلام شيء واحد، وأن القاديانية ما قامت إلا لخدمة الإسلام.
- ❖ عدم قيام علماء الإسلام بالتوعية الكافية ضد القاديانية وغيرها من الطوائف الضالة التي بدأت تنتشر في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى، وبتخطيط أدق وأكمل عما مضى.هذه هي

([1]) مانع بن حماد الجهمي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص63.

أهم الأسباب وربما توجد أسباب أخرى كثيرة ساعدت في نشر القاديانية في أماكن كثيرة من بلدان المسلمين.

ويطول المقام لشرح تلك الأسباب التي استغلها القاديانيون وحولوا كثيراً من المسلمين إلى ديانتهم، وأدخلوا كذلك كثيراً من غير المسلمين في القاديانية على أساس أنها هي الدين الإسلامي الذي ارتضاه الله وأنزل به القرآن الكريم وأرسل به محمداً صلى الله عليه وسلم، بحيث لا يعلم الشخص مدى البعد بينه وبين الإسلام إلا إذا وفقه الله فأبصر واقع القاديانية.

على أنه وجد بعد ذلك نوع من اليقظة الإسلامية، ووجد علماء أوقفوا القاديانية عند حدها في بعض البلدان وكتبوا مقالات كثيرة، بل ووجد أيضاً من بعض من دخل القاديانية من المفكرين على أساس أنها هي الإسلام، ولكنه تبين له بعد ذلك أنها عدوة للإسلام فبدأ يهاجمها ويدعو إلى الإسلام الصحيح.

ومع هذا كله فقد انتشرت القاديانية في هذه الأيام وبدأت تستعيد أنفاسها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، مستغلين نفس الأسباب التي ذكرت آنفاً، والأمل في الله قوي أن يهيئ من عباده من يتصدى للقاديانية وغيرها من التيارات الهدامة المعاصرة، ويكشف زيفها ويبين خطرها على الإسلام والمسلمين وما ذلك على الله بعزيز. [1].

الأفكار والمعتقدات:

بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه بمجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا –

يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية

(1) لعواجي، فرق معاصرة، ص831/2.

تعتقد القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد لا بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعا.

يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه، وأن إلهاماته كالقرآن.

يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا بي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم.

يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن

كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر.

يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت حركة سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية واختاروا لها رجلا من أسرة عريقة في العمالة.

في عام 1953م قامت ثورة شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي العشرة آلاف من المسلمين ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

وفي شهر ربيع الأول 1394 هـ الموافق إبريل 1974م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر

هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمون بمقاومة خطرها وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

قام مجلس الأمة في باكستان البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قرار باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.[1]

2. **أفكارهم**: وهم في دعوتهم يتسترون بالإسلام ولا يفصحون عن اسمهم، وبعث الإرساليات لنشر نحلتهم في العالم. ويستخدمون في دعوتهم منشورات تتضمن أفكاراً ثلاثة [(2)]:

1. أن مؤسس الدعوة غلام أحمد يشبه المسيح في دعوته .
2. أنه لا فرق بين الأديان السماوية إلا بالأفكار التي زرعها متعصبوا هذه الأديان.
3. يدعون أنهم مجددون للإسلام، ودعاة له، وقد ألفوا العديد من الكتب، وأنشأوا العديد من الصحف.

4. **نشاطهم**:

إنّ للقاديانية نشاطات متعددة في سبيل نشر مذهبهم الباطل، وهي بناء المدارس والمساجد، فقد بلغ عدد المدارس في أفريقيا حوالي 47 مدرسة كما تقدم، كما بلغ عدد المساجد التي بنوها في العالم حوالي 343 مسجداً، بَنَوْا في أمريكا وفي هولندا وسويسرا وبورما – كل بلد من هذه البلدان – مسجداً واحداً، وفي ألمانيا – ألمانيا الغربية – مسجدين، وفي سيلون مسجدين – وكذا الملايو – وفي الولايات المتحدة الأمريكية ثلاثة مساجد، وفي بورنيو ستة مساجد، وفي موريشيوس عشرين مسجداً، وفي شمال أفريقيا أربعين مسجداً، وكذا في نيجيريا وفي سيراليون ستين مسجداً، وكذا في أندونيسيا ، وفي غانا 161 مائة وواحداً وستين مسجداً، وهذه المساجد إنما أقيمت لتكون وكراً

[1] محمدبن عبد العزيز العقيل ،العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة،جامعة الملك فيصل،المملكة العربية السعودية ،1430 ،ص143

([2]) أسعد السحمراني، البهائية والقاديانية، ط2،2007 م ،دار النفائس ،ص152.

للقاديانية ومحلاً للتخطيط وحبك الدسائس على الأمة الإسلامية، وإقامة الزعامة القاديانية على حساب الإسلام، فهي أشبه ما تكون بمسجد الضرار الذي هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر ربه حينما بني على نية سيئة ،يقول النجرامي: "فليتنا نعمل بهذه المساجد كما عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بمسجد الضرار، حتى لا تكون نقطة الانطلاق لهذه الحركة الضالة، تنطلق من خلالها للكيد للمسلمين وتفتيت وحدتهم وبذر الشقاق بين جموعهم"[3].

وكذلك للقاديانيين نشاط واسع في محاولة نشر عقيدتهم المنحرفة وبخاصة في أفريقيا، حيث لهم في إفريقيا أكثر من خمسة آلاف مبشر وداعية إلى دينهم المزيف، وقد قاموا بترجمة معاني القرآن إلى اللغات الإفريقية واللهجات الإفريقية المتعددة، وفقاً لعقيدتهم الباطلة.

ومن أبرز نشاطات الجماعة القاديانية في لندن أنها تمتلك قناة تلفزيونية خاصة، وقد وافقت الحكومة الإنجليزية على إنشاء هذه القناة الخاصة تقديراً لدور القاديانية في وقوفها إلى جانب الاستعمار الإنجليزي في الهند ودعوة القاديانية إلى إلغاء فريضة الجهاد الإسلامي، وهذه القناة التلفزيونية تبث بأكثر من خمسة عشر لغة مختلفة في أنحاء العالم منها اللغة العربية، وتغطي العالم كله برامجها الداعية لمذهبها الخارج عن الإسلام ومن العجيب أن اسمها القناة الإسلامية، وللقاديانية نشاط معروف مع الصهاينة، فقد أسس المركز القادياني في حيفا عام 1923م، ويضم المركز مكتبة عامة ومكتبة تجارية ومدرسة ومسجداً للقاديانية، ومقراً للبعثة القاديانية، وقام المركز بترجمة معظم مؤلفات مجلة شهرية باسم البشري باللغة العربية، ومن المعروف أن ميرزا بشير الدين محمود أقام في فلسطين سنة 1924م بعد صدور وعد بلفور سنة 1917م بإنشاء دولة إسرائيل في قلب فلسطين غير الأحمدي (أي القادياني) ومن المعروف أيضاً أن بشير الدين محمود أيد إقامة دولة عبرية صهيونية في فلسطين العربية[4].

ومما لا ريب فيه أن هذه الأعمال التي قام بها القاديانيون وهذا النشاط الذي أبداه هؤلاء في نشر باطلهم، يحتاج ضرورة إلى أعمال خيرة تقابله وتصده، وإلا لكان المجال مفتوحاً أمام هؤلاء الذين ازداد نشاطهم أكثر مما ذكر سابقاً، وزاد طمعهم في بلدان المسلمين، والاستحواذ على شباب

([3])محمد يوسف النجرامي، أباطيل القاديانية في الميزان، ص108،106، لعواجي، فرق معاصرة،ص838/2.

([4])عامر النجار، القاديانية،ط1 ،2004 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ص78،77.

المسلمين، خصوصاً و الأوضاع الداخلية تساعدهم على ذلك كثيراً في ظل الحكام الذين هم رؤوس حراب فوق الشعوب الإسلامية، فإن كثيراً من حكام الدول الإسلامية لم يبق فيهم ما يتفاءل به الإسلام والمسلمون، لأنهم إن لم يبدأوه بالحرب كان أقل ما فيهم نحوه الاستهتار بمبادئه وإظهار الجفاء لتعاليمه والتقطيب في وجوه من يمثلونه؛ لأن هؤلاء لا يثمنون عند عتاة الكفر والإلحاد إلا بقدر ما يهدمون من تعاليم الإسلام، أما عن مواطن انتشارهم فإن معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه، ولهم مراكز في أمريكا، و أوربا ، وأفريقيا، كما أن لهم مراكز متعددة منها مراكز في الكويت، والبحرين، ومسقط، ومصر، ودبي، والشارقة والأردن، وسوريا ،ومركزهم الرئيس في باكستان في منطقة سموها الربوة، كذلك لهم معابد في ألمانيا في مدينة فرانكفورت[5].

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

1. إبراهيم مصطفي ،المعجم الوسيط، ط2 ،1989 ، دار الدعوة ، تركيا .

([5])محمد بن إبراهيم الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب،ص310.

2. ابن تيمية ، درء التعارض العقل و النقل،2009 ،دار الكتب العلمية.
3. ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج4، دار الجيل.
4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4. بترقيم الشاملة آليا):
5. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب،ج3 ،1999 دار إحياء التراث العربي، بيروت.
6. أبو حامد الغزالى، معيار العلم في المنطق، دط،1997، دار الاندلس للطباعة والنشر.
7. إحسان إلهي ظهير، البابية، ط2 ،1981، إدارة ترجمان السنة، لاهور ، باكستان .
8. أحمد بن عوض الله بن داخل اللهيبي الحربي ،الماتريدية دراسة وتقويما ،ط 1 ، 1413 ،دار العاصمة.
9. أسعد السحمراني، البهائية والقاديانية، ط2، 2007 م ،دار النفائس .
10. الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج 1،المكتبة العصرية.
11. البغدادي، الفرق بين الفرق، مكتبة ابن سينا، القاهرة.
12. تفسير الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، بترقيم الشاملة آليا):.
13. جولد تسهير ،العتيدة والشريعة في الإسلام ،1947 ،دار الكتاب المصري ،القاهرة.
14. الجوهري، إسماعيل بن محمد: معجم الصحاح، دار المعرفة، بيروت، 2007.
15. الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ط 1 ،.2009، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة .
16. حسن محمد علي، الإباضية نشأتها وعقائدها .ط ,1 ،2011، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
17. خالد بن أحمد الزهراني ،موقف الطاهر بن عاشور من الشيعة الاثنا عشرية،ط1 ،2010 ، مركز المغرب العربي للدراسات والتدريب.
18. دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير،2010 ج 2 ، مؤسسة تاوالت الثقافية، الجزائر .
19. رئاسة التحرير: "الأزهر يحظر كتابا لزعيم القاديانية"، الأحداث، العدد1275، 18 جويلية 2006.

20. الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1،دار المعرفة.
21. طعيمة، الإباضية عقيدة ومنهجا، 1986، دار الجيل،بيروت.
22. عامر النجار، القاديانية،ط1 ،2004 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
23. عبد الرحمان بدوي، مذاهب الاسلامين، 1997، دار العلم للملايين.
24. عبد الفتاح أحمد فؤاد ،الأصول الإيمانية للفرق،دط،1990 ،دارالمعرفة ، الإسكندرية.
25. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج1، ص 84.
26. عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة، ط2، 1995، مكتبة وهبة، القاهرة.
27. عبد المجيد الغوري، القادياني والقاديانية دراسات وتحليل وعرض علمي،2000، ط1. دار ابن كثير.
28. عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط2 ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع.
29. على الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة دار ابن حزم، القاهرة.
30. على سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة .
31. على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام 8، ج 1، دار المعارف، القاهرة.
32. على عبد الفتاح المغربي ،الفرق الإسلامية مدخل ودراسة ،ط2، 1995مكتبة وهبة ، القاهرة .
33. علي يحيي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ط4، 2001، دار الحكمة.
34. عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي .ج 1، 2013 الجزائر، موفم .

35. عمر عبد العزيز قريشي، أصول الفرق الإسلامية، دط،2001، صنوان للطباعة، مصر.

36. غالب بن علي عواجي،«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» ج1/: الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدةالطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١

37. غالب عواجي ،فرق معاصرة 1/ 232«موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية» (4/ 332 بترقيم الشاملة آليا):

38. قحطان بن عبد الرحمن الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ط3 ،2012، كتاب ناشرون ،لبنان .

39. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ج3 ، دار العلم للملايين للنشر.

40. الماتريدي، التوحيد، بترقيم الشاملة آليا).

41. مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، القاهرة ،الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، 1403هـ 1983م .

42. محب الدين الخطيب وأخرون، دراسات عن البابية والبهائية، دط ،دت ،مطابع رابطة العام الإسلامي.

43. محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، دار الفكر العربي.

44. محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام،2015 ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

45. محمد بن يوسف اطفيّش، الذهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، د ط، د ت، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان.

46. محمد بيومي، حقيقة الشيعة،ط1، 2007،دار الغد الجديد.

47. محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام وسنة الاختلاف،1995، دار الفكر المعاصر، بيروت.

48. محمدبن عبد العزيز العقيل ،العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة،جامعة الملك فيصل،المملكة العربية السعودية ،1430 .

49. محمود بن عمر: أساس البلاغة،1992، دار صادر، بيروت.

50. مصطفى بن محمد بن ادريسو :الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم :وينتن مصطفى بن النّاصر، ، د ط، 4083 م مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع،السّيب، سلطنة عُمان.

51. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، ج3، ص 322 بترقيم الشاملة آليا):

52. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج1. بترقيم الشاملة آليا).

53. ناصر القفاري وناصر العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة،ط1 ،1992 م،دار الاصمعي.

54. ناصر بن علي، عقيدة أهل السنة في الصحابة 3ج، بترقيم الشاملة آليا).

55. نصير آمنة ،أضواء وحقائق على البابية ، البهائية ، القاديانية ،1984 طبعة الشروق ، مصر .

56. يحي هويدي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،ط1، 2002 ،المكتبة المدنية ، القاهرة.

فهرس المحاضرات

المحاضرة الأولى: مدخل عام حول المقياس.....6

المحاضرة الثانية: أسباب الاختلاف.....10

المحاضرة الثالثة: منهج ومصادر دراسة الفرق الإسلامية.....16

المحاضرة الرابعة: العوامل المساهمة في نشأة الفرق
الإسلامية.....20

المحاضرة الخامسة: الأصول المنهجية للخوارج.....29

المحاضرة السادسة: الأصول المنهجية للشيعة.....36

المحاضرة السابعة: الأصول المنهجية للمعتزلة.....44

المحاضرة الثامنة: الأصول المنهجية للأشاعرة.....49

المحاضرة التاسعة: الأصول المنهجية للماتريدية 54

المحاضرة العاشرة: الأصول المنهجية للإباضية: 58

المحاضرة الحادي عشر: الأصول المنهجية للفرق الإسلامية المعاصرة البهائية والقاديانية

1. البابية.....63
2. القاديانية.....68